أجاثا كريستي

فندق الغُموض

دار النجمة للنشر والتوزيع

فندق الغموض

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

فندق الغُموض

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأول

توجد داخل إيست إند أماكن كثيرة ليست معروفة لغير سائقي سيارات الأجرة الذين يعرفونها خير المعرفة ويصلون إليها عن طريق بارك لين وميدان بيركلي، أو عن طريق جنوب شارع أودلي. وأنت إذا استدرت إلى اليسار بعد بارك لين ثم إلى اليمين فسوف تجد نفسك في شارع هادئ حيث يقع فندق برترام على جانبه الأيمن، وكان ذلك الفندق موجوداً منذ زمن بعيد، ورغم أن البيوت عن يمينه وعن يساره قد تهدّمت خلال الحرب إلا أن الفندق قد نجا من الدمار وخرج من الحرب بإصابات طفيفة، ثم أمكن تجديده وإعادته إلى حالته الأولى بتكاليف بسيطة، وأصبح منظره عام ١٩٥٥ مثلما كان عليه عام ١٩٣٩، شامخاً أنيقاً باهظ الأجر.

لقد ظلّ لسنوات طويلة يتعامل مع الفئات العليا من رجال الدين والسيدات المسنات من الطبقة الأرستقراطية القادمة من الريف وبنات الأُسر الثرية اللائي يدرسن في الجامعات في أثناء مرورهن بلندن لقضاء العطلات.

وقد كانت توجد فنادق أخرى عديدة من طراز برترام، ولا يزال معظمها قائماً، إلا أن معظمها قد مسّته ريح التغيير فأصبح

عصرياً ليلبّي رغبات النزلاء الجُدد، وكان على فندق برترام أن يجاري روح العصر أيضاً، إلا أن التغييرات التي تمّت فيه قد أُجريت بذكاء شديد إلى درجة أن العين لا تفطن إلى ذلك في النظرة الأولى، فخارج الدرجات التي تؤدّي إلى الأبواب الدوّارة الضخمة كان يقف مَن يظنّه الناظر أحد كبار العسكريين تزيّن صدره مجموعة من الميداليات الذهبية والأشرطة الملوّنة ليستقبل الوافدين ويساعد المسنّين على النزول من السيارات وصعود الدرجات بعناية حتى يبلغوا الأبواب الدوّارة. أما في الداخل فسوف تُصاب بالفزع إذا كنت تدخل الفندق للمرّة الأولى لأنه سيداخلك شعور بأنك تطرق عالَماً بائداً؛ حيث يعود بك الزمن إلى إنكلترا في عهد الملك إدوارد.

بالتأكيد كانت توجد تدفئة مركزية إلا أنها غير ظاهرة، كما أنه لا تزال توجد في قاعة الاستقبال مدفأتان يتوهّج فيهما الفحم لتضفيا على المكان الإحساس بالماضي، وكانت المقاعد مرتفعة عن الأرض وظهورها عالية ليشعر المصابون بتصلّب الشرايين ومرض عرق النسا بالراحة، كما توجد في الفندق مختلف أنواع المقاعد التي تناسب جميع الأحجام بحيث يجد كل نزيل المقعد المريح.

وحيث إن ذلك الوقت هو موعد تقديم الشاي فقد كانت قاعة الاستقبال مملوءة بالنزلاء، وليس معنى هذا أن تلك القاعة هي المكان الوحيد المخصّص لتقديم الشاي؛ فإنه توجد قاعة للتدخين وحجرتان للكتابة، حيث تستطيع أن تتبادل الحديث الهامس مع أحد أصدقائك في ركن هادئ أو تكتب رسالتك. أضِف إلى ذلك وجود مشرب مزدوج لتقديم المشروبات

الأمريكية وآخر لتقديم المشروبات الإنكليزية، كما توجد غرفة مخصصة لمشاهدة التلفاز، إلا أن قاعة الاستقبال الموجودة في مدخل الفندق هي المكان المفضّل لتناول شاي ما بعد الظهر، فقد كان يحلو للسيدات المسنّات الجلوس في تلك القاعة للاستمتاع برؤية الداخلين والخارجين والتعرّف على الأصدقاء القدامى، كما كان يُشرف على قاعة الاستقبال رجل ضخم باسِم الوجه يُدعى هنري، وهو في الخمسين من عمره ويُعتبر نموذجاً للخادم المثالي، ويعمل تحت إمرته مجموعة من الشبّان يقومون بكل العمل. حقاً، لقد كان الفندق فاخراً.

في ذلك اليوم، السابع عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر)، كانت السيدة سيلينا هينري التي تناهز الخامسة والستين من عمرها، والقادمة من ليستر شاير، تتناول بعض الفطائر المحشوة بالزبد، ثم ابتسمت وهي تومئ برأسها محيية الكولونيل لاسكومب الذي كان يتجاوز الأبواب الدوّارة بقامته المستقيمة ومشيته العسكرية في حين كانت تتدلى حول رقبته نظارة السباق المكبّرة. اقترب منها الكولونيل قائلاً: مرحباً سيلينا، ما الذي أتى بك إلى هذه المدينة؟

- طبيب الأسنان. ثم وجدت أن الفرصة سانحة لاستشارة طبيب شارع هارلي اختصاصي تصلّب الشرايين. آه، هذه هي جين ماربل العجوز! كنت أظنها ماتت منذ سنوات. إنها تبدو وكأنها في المئة من عمرها.

فالتفت الكولونيل لاسكومب نحو الآنسة ماربل ولم يقُل شيئاً، ثم اتجه نحو مكتب الاستقبال وهو يستعرض الجالسين في القاعة بنظراته ثم همس لنفسه قائلاً: مَن كل هؤلاء الناس؟

اثنان من القساوسة، وعميد شيزلهامبتون، وعاشقان يتناجيان في ركن منعزل، وأحد كبار رجال الدين، وكذلك السيدة بيري والسيدة بوسيلوايت من سومرست، وسيبل كير.

وشعر بالدهشة لوجود كل هؤلاء وتعجّب كيف يتحمّلون نفقات الإقامة في ذلك الفندق. وقد استقبلته الآنسة غورنغ موظفة الاستقبال بابتسامة ترحيب؛ فقد كانت صديقة قديمة، وهي تعرف جميع المتردّدين على الفندق وقلّما تنسى وجهاً شاهدته من قبل. ورغم أنها لا ترتدي ثياباً فاخرة إلا أن منظر شعرها الأصفر المجعد وثوبها الحريري الأسود يوحي بالاحترام. قالت الآنسة غورنغ: أعتقد أنك تريد الغرفة رقم ١٤ التي كنت تشغلها في المرّة المسابقة يا كولونيل لاسكومب، أليس كذلك؟

- يدهشني أنك تتذكّرين كل هذه الأمور يا آنسة غورنغ.

- نحن نحب أن يشعر أصدقاؤنا القدامى بالراحة.

ثم رُئي السيد همفريس قادماً من الغرفة الداخلية لتحيّته، وكان الكثيرون يتصوّرون أن السيد همفريس هو السيد برترام نفسه، هذا إذا كان قد وُجد مَن لُقّب بالسيد برترام في الماضي.

لقد أُنشئ فندق برترام عام ١٨٤٠، وظلّ قائماً منذ ذلك الوقت رمزاً للماضي المنصرم. ولم يكُن السيد همفريس يصحّح الاسم عندما كانوا ينادونه بالسيد برترام، ولكن الكولونيل لاسكومب كان يعرف اسمه، إلا أنه لا يعلم ما إذا كان همفريس هو مدير الفندق أم مالكه، وإن كان يتصوّر أنه المالك.

والسيد همفريس رجل دمث الأخلاق يبلغ الخمسين من

عمره، ويستطيع أن يقدّم العون لمن شاء في أية لحظة، وذلك بأن يرشده إلى مواعيد سباقات الخيل أو ألوان الرياضيات المختلفة أو يخبره ببرامج دور العرض والمسرح، كما يستطيع أن يقدّم المعلومات عن شتّى أنواع الأطعمة والأسعار التي تناسب كافة المستويات، ورغم هذا لم يكُن يهين نفسه بأن يعرض خدماته في كل الأوقات. وقد كانت الآنسة غورنغ قادرة على تقديم نفس المعلومات بكفاءة عالية، وكان السيد همفريس يظهر على فترات مثل الشمس عندما تظهر في الأفق ليخصّ أحد النزلاء بعنايته.

وكان الكولونيل لاسكومب صاحب الحظوة في تلك المرّة، فتبادلا حديثاً قصيراً عن سباق الخيل، ولكن الكولونيل كان مستغرقاً في مشكلته، وها قد جاءه الرجل الذي يستطيع أن يجيبه عن سؤاله. قال الكولونيل: أخبرني يا همفريس، كيف يحدث أن يقيم في الفندق كل هذا العدد من السيدات المسنّات؟

فأجابه همفريس قائلاً وهو يبتسم: أهذا هو كل ما أدهشك؟ الإجابة غاية في البساطة، وهي أنه لم يكُن ذلك في استطاعتهن لولا أنني قمت بتخفيض الأسعار لهن باعتبارهن من الزبائن القدامى.

- ولكن كيف يغطّي ذلك مصروفات الفندق الباهظة؟

- نحن نعتمد على السائحين الأمريكيين الذين تجذبهم الأماكن العتيقة وتُشعرهم بالفارق بين الماضي والحياة في بلادهم، ولا شكّ أنهم يعودون سعداء إلى بلادهم قائلين إنهم نزلوا في فندق برترام الذي أعاد إليهم ذكريات القرن الماضي،

فضلاً عن التقائهم بالمسنين من أفراد الطبقة الأرستقراطية المنقرضة.

فقال الكولونيل بعد برهة: أعتقد أن تجديد الفندق كلّفكم الشيء الكثير، أليس كذلك؟

– آه، بلى؛ فقد كان علينا أن نُظهر المكان وكأنه ما زال في عصر إدوارد، وفي نفس الوقت كان من الضروري أن نضفي عليه مسحة من رفاهية العصر، وبهذا يعتقد الروّاد القدامى أن شيئاً من الماضي لم يتغير في حين يجد الوافدون الجدد أساليب الراحة التي تعودوها في بلادهم ولا يستطيعون الحياة بغيرها.

بعد ذلك تسلّم الكولونيل لاسكومب مفتاح غرفته من الآنسة غورنغ ثم اتجه نحو المصعد، وفي أثناء توجّهه إلى المصعد شاهد السيدة سيلينا هينري جالسة مع صديقتها جين ماربل، وكانت السيدة سيلينا تسأل عما إذا كانت الآنسة ماربل لا تزال تقيم في قرية سانت ماري ميد التي لم تمسّها يد التغيير، فأجابت الآنسة ماربل قائلة: لقد طرأ عليها التغيير مثل غيرها، فأُقيمت بها بعض المساكن الحديثة.

– إنه التقدم. آه، هذا هو الأسقف ميد منهام. إنه يكاد يكون فاقد البصر، ولكنه رجل دين مكافح.

ثم دار الحديث بين العجوزين عن الأيام الماضية، وكان أغلبه يتعلّق بالسنوات التي أعقبت وفاة زوجها ونضوب مواردها المالية مما اضطرها إلى الإقامة بعض الوقت في قرية سانت ماري ميد في الوقت الذي كان ابنها الثاني يخدم في مطار قريب من القرية، ثم قالت السيدة سيلينا: هل تنزلين دائماً في هذا الفندق

عندما تزورين لندن يا جين؟

- لا؛ فنفقاته تفوق قدرتي، كما أنني لا أكاد أغادر القرية في هذه الأيام، إلا أنها كانت لفتة لطيفة من ابنة أخت لي أن تتحمل نفقات إقامتي مدّة أسبوع في لندن. إنها رسّامة معروفة، وقد أقامت أكثر من معرض واسمها جوان، وقد قالت لزوجها: "يجب أن نفعل شيئاً للخالة العجوز المسكينة، إنها لا تغادر البيت"! وكان من رأيها أن أقضي الأسبوع في واحد من أفخر فنادق بورنموث، فقلت إنني أفضّل قضاء العطلة في لندن في فندق برترام الذي أقمت فيه بضعة أيام عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري مع عمّي وعمّتي، العم توماس الذي كان راعي كنيسة إيلي. وهكذا تمّ الحجز لي في برترام وجئت لأجد أن الفندق لم يتغير، إنه لا يزال كما كان.

ثم توقّفت الآنسة ماربل عن الحديث وهي تستعيد ذكريات الماضي عندما جاءت إلى برترام لأول مرّة حينما كانت في الرابعة عشرة من عمرها، وكانت قد أحبت شاباً رأت أمها أنه غير مناسب لها فأرسلتها مع عمّها وعمّتها، في حين كانت الفتيات في مثل سنّها أمهات يرعين بناتهن، إلا أن بنات اليوم لا يلقين رعاية رغم وجود أمهاتهن كما كان الحال على أيامها. وأفاقت الآنسة ماربل من ذكرياتها على صوت السيدة سيلينا قائلة: آه، هذه هي بيس سِيد جويك! لم أكُن أتوقّع أن أراها في مثل هذا المكان، ولكنها اعتادت الظهور في أكثر الأماكن غرابة.

لم تكُن الآنسة ماربل تصغي بانتباه إلى ما تقوله السيدة سيلينا؛ فقد كانت لكل منهما ذكرياتها المختلفة، ولكنها عندما بدأت تحدّثها عن بيس سِيد جويك اختلف الأمر لأن اسم بيس

كان معروفاً لكل شخص في إنكلترا؛ فقد كان اسمها يظهر طَوال السنوات الثلاثين الماضية في مجلات الأزياء والصحف الشعبية لأنها كانت ترتكب أشدّ الأمور غرابة، فقد انضمت إلى المقاومة الفرنسية خلال فترة الحرب، ويقال إنه كانت توجد على بندقيتها ثماني علامات تشير إلى عدد الجنود الألمان الذين قتلتهم، كما أنها عبرت الأطلنطي بطائرتها، وعبرت أوروبا بالخيل، وقادت سيارات السباق، واستطاعت أن تنقذ طفلين من منزل يحترق، وتزوجت بضع مرّات، وعُرف أن ترتيبها الثاني بين أكثر نساء أوروبا أناقة، كما يقال إنها نجحت في تهريب غوّاصة ذرّية كانت في رحلتها التجريبية.

لهذا كان اهتمام الآنسة ماربل بالحديث عن بيس سِيد جويك، حيث لم تكُن تتوقع أن تراها في فندق برترام مطلقاً. وكانت بيس تتناول فطيرة محشوة بالمربى، فقضمت قضمة كبيرة فسالت المربى على خدّها فأطلقت ضحكة عالية، فأسرع هنري وقدّم إليها منشفة فتناولتها ضاحكة ومسحت خدّها، ثم وقفت بيس سِيد جويك واتجهت نحو المصعد وجميع الأبصار تلاحقها. وبينما كانت تمرّ أمام السيدة سيلينا والآنسة ماربل أومأت إلى الأولى برأسها قائلة: مرحباً سيدة سيلينا، لم أرَك منذ زمن طويل.

- ما الذي جاء بك إلى هذا المكان يا بيس؟

- جئت كي أقيم لفترة قصيرة. لقد قُدت السيارة من لاندزاند إلى هذا المكان في أربع ساعات وثلاثة أرباع ساعة.

- سوف تقتلين نفسك ذات يوم أو تصرعين شخصاً ما.

- آه، أرجو أن لا يحدث ذلك.

- ولكن لماذا اخترت هذا المكان؟

وتردّدت بيس في الإجابة برهة ثم قالت: حدّثني عنه أحد الأصدقاء ففكرت في تجريبه.

ثم أومأت برأسها وسارت نحو المصعد فقالت السيدة سيلينا: إنها فتاة غير عادية، أنا أعرفها منذ طفولتها. لقد هربت مع رجل أيرلندي وهي في السادسة عشرة من عمرها، ولكن أهلها أعادوها في الوقت المناسب بعد أن دفعوا له مبلغاً من المال، ثم زوجوّها بالكهل كونيستون الذي كان يكبرها بثلاثين عاماً، ولكن الزواج لم يعمّر طويلاً. ثم تزوّجت جون سِيد جويك الذي لقي مصرعه في حادث، وبعد ذلك تزوّجت ريدغواي بيكر، وهو أمريكي يمتلك قارباً، ولكنه طلقها بعد ثلاث سنوات. وبعد طلاقها من الأمريكي عادت تسمي نفسها سِيد جويك من جديد. وقد سمعت أنها على علاقة ببولندي هذه الأيام، وهو أحد أبطال سباق السيارات، ولا أعرف إذا كانا قد تزوجا أم لا. إنها تصاحب أشدّ الناس غرابة، ويُشيع البعض أنها تتعاطى المخدرات.

فقالت الآنسة ماربل: وهل تشعر بالسعادة؟

- إنها تمتلك ثروة ضخمة، ولكن المال ليس كل شيء. إنها لا تسير إلا وفي أعقابها رجل أو مجموعة من الرجال.

نظرت الآنسة ماربل إلى ساعة الحائط العتيقة، ثم وقفت متحاملة على نفسها وتوجهت إلى المصعد ببطء. ألقت السيدة سيلينا نظرة على الجالسين في القاعة فتعلّق بصرها بأحد الرجال

العسكريين وهو يقرأ مجلة، فوجّهت الحديث إليه قائلة: يا لها من مصادفة سعيدة أن أراك ثانية! ألست الجنرال أرلنغتون؟

فاعتذر الرجل بأدب شديد عن أنه ليس الجنرال أرلنغتون، كما اعتذرت السيدة سيلينا بشدّة؛ فقد كانت ترتكب مثل هذا الخطأ كثيراً وهي تحيّي أشخاصاً تتخيّلهم بعض الأصدقاء القدامى.

ابتسمت الآنسة ماربل ابتسامة خفيفة وهي تنتظر هبوط المصعد، وعندما نزل المصعد وفُتح بابه فوجئت بأن الشخص الذي يهمّ بالخروج هو السيدة بيس سِيد جويك التي شاهدتها تصعد منذ دقائق. وبعد أن وضعت بيس إحدى قدميها في الخارج توقّفت فجأة وهي تحملق من فوق كتف الآنسة ماربل باهتمام بالغ، فأدارت الآنسة ماربل رأسها لترى الخادم يفتح الأبواب الداخلية لسيدتين تدخلان قاعة الاستقبال، وكانت إحداهما في منتصف العمر تضع فوق رأسها قبعة مزدانة بالورد في حين كانت الأخرى شابة نحيلة، ربما في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمرها، ذات شعر كستنائي طويل. ثم تمالكت بيس سِيد جويك هدوء أعصابها وارتدّت إلى الداخل معتذرة للآنسة ماربل التي كادت تصطدم بها بأنها نسيت شيئاً ولكن الأمر لم يعُد يهمّ. سأل العامل الآنسة ماربل قائلاً: هل ستصعدين إلى الدور الثاني يا سيدتي؟

فابتسمت الآنسة ماربل وأومأت برأسها مؤمّنة وهي مدهوشة من سلوك بيس وتقول لنفسها: هل نسيت شيئاً بالفعل أم أنها فوجئت برؤية شخص لا تريد مقابلته؟ لا شكّ أنهما السيدتان. هل هما أمّ وابنتها؟ لا.

وفكرت الآنسة ماربل في أن منظرهما لا يوحي بذلك، ثم همست الآنسة ماربل لنفسها مرّة أخرى بسعادة قائلة: حتى في فندق برترام يمكن أن تحدث أشياء مثيرة.

* * *

الفصل الثاني

بينما كانت السيدة ذات القبعة واقفة أمام مكتب الاستقبال تسأل الآنسة غورنغ عن الكولونيل لاسكومب ظهر الكولونيل في نفس تلك اللحظة، وتقدّم نحو مكتب الاستقبال قائلاً: كيف حالك يا سيدة كاربنتر؟

وصافحها الكولونيل بأدب ثم استدار ناحية الشابة قائلاً: عزيزتي إيلفيرا؟ رائع! تعاليا نجلس لنتحدّث.

فابتسمت إيلفيرا ابتسامة عذبة في حين ضحكت السيدة كاربنتر ضحكة جوفاء، وبعد أن سألهما عن الرحلة قال: أرجو أن يناسبكما هذا المكان. إنه عتيق بعض الشيء وليس فيه رقص أو شيء من هذا القبيل.

تلفّتت إيلفيرا حولها مستعرضة وجوه النزلاء في حين قال الكولونيل: لن ترَي إلا الكثير من العجائز، وربما كان من الأنسب لكما أن تذهبا إلى فندق عصري.

فقالت إيلفيرا بأدب: إنه مكان لطيف للغاية.

فقال الكولونيل لاسكومب: لن تستمرّ الإقامة هنا أكثر من ليلتين، وقد فكرت في أن أصحبكما الليلة إلى حفل موسيقي ثم

نتناول العشاء في السافوي.

فقالت إيلفيرا برقّة: هذا رائع.

ثم توجّه الكولونيل بالحديث نحو السيدة كاربنتر قائلاً: هل تحبين مشاهدة الغرفتين المخصّصتين لكما؟

* * *

رحّبت الآنسة غورنغ بساكنتَي الغرفتين رقم ٨ و٩ في الطابق الثاني الملحق بهما حمّام مشترَك، ثم انسحبت السيدة كاربنتر لتتيح الفرصة لإيلفيرا كي تتبادل الحديث مع الكولونيل لاسكومب. وقد شعر الكولونيل بالارتباك لأنه يعرف وسائل الترفيه عن الفتيان، أما الفتيات فليس له خبرة بما يناسبهن. وبعد أن اختار الكولونيل ركناً منعزلاً قال لإيلفيرا: كيف كانت الإقامة في إيطاليا؟

- لطيفة جداً، والحمد لله.

- أرجو أن تكون الإقامة مع الكونتيسة... لا أذكر اسمها الآن، قد راقت لك.

- لقد كانت صارمة بعض الشيء، ولكن هذا لم يكُن مصدر قلق لي.

وخيّم الصمت برهة ثم استطرد الكولونيل قائلاً: أخشى أن أقول إننا لم نتعارف جيداً رغم أنني الوصيّ عليك وأعتبر نفسي الأب الروحي لك؛ فمن الصعب على رجل شيخ مثلي أن يتعرّف على رغبات شابة مثلك فيما يخصّ الدراسة وما بعد الدراسة. ما الذي تفكرين فيه بالنسبة للمستقبل؟

- أفكر في دراسة السكرتارية.

- هل تفكرين في العمل كسكرتيرة؟

- ليس تماماً، ولكنها مجرّد شيء أريد أن أبدأ به.

- وماذا عن بنات عمي ميلفورد، هل تحبين الإقامة معهن؟ إذا كنت لا تحبين...

فقاطعته قائلة: آه، لا، أنا أحب نانسي، كما أن ابنة العم ميلدريد لطيفة جداً.

- إذن فالوضع يناسبك، أليس كذلك؟

- بلى، هو يناسبني في الوقت الحاضر.

لم يجد الكولونيل شيئاً يردّ به على هذه الملاحظة، ثم فوجئ بإيلفيرا تسأله قائلة: هل أمتلك شيئاً من المال؟

فتردّد الكولونيل قليلاً قبل أن يقول: نعم، أنت تملكين قدراً كبيراً من المال، أعني عندما تبلغين سنّ الرشد.

- وماذا يخصّني الآن؟

فابتسم الكولونيل وهو يقول: مالك تحت الوصاية، ويُخصم من دخلك كل عام ما يكفي لدراستك ونفقاتك.

- هل أنت الوصيّ عليّ بمفردك؟

- أنا واحد من ثلاثة.

- ماذا يحدث في حالة وفاتي؟

فصاح الكولونيل بدهشة قائلاً: ما هذا الهراء؟ لن تموتي يا إيلفيرا.

- أرجو ذلك، ولكن مَن يدري؟ لقد تحطّمت طائرة في الأسبوع الماضي ولقي جميع ركابّها مصرعهم.

فقال الكولونيل: لن يحدث لك شيء كهذا.

- مَن الذي سيستفيد من المال في حال وفاتي؟

- ليس لديّ فكرة. ولكن لماذا توجّهين إليّ هذا السؤال؟

- كنت أتساءل عمّا إذا كان لشخص ما مأرب في قتلي.

- هذا شيء غريب! ما الذي يدفعك إلى التفكير في شيء كهذا؟

- على الإنسان أن يفكّر في كل الأمور.

- هل تفكّرين في المافيا أو شيء من هذا القبيل؟

- آه، لا. مَن الذي سيستفيد من المال إذا تزوّجت؟

- زوجك على ما أعتقد، ولكن...

فقاطعته قائلة: هل أنت واثق من ذلك؟

- لا، لست متأكّداً لأن هذا يتوقّف على نصّ الوصية. ولكن لماذا القلق وأنت لم تتزوّجي بعد؟

فلم تُجِب الفتاة واستغرقت في التفكير ثم قالت: هل تلتقي بأمّي؟

- أحياناً، ولكن ليس بصفة منتظمة.

- أين هي الآن؟

- في الخارج.

- أين بالضبط؟

- قد تكون في فرنسا أو البرتغال، لا أدري على وجه التحديد.

- ألم تفكّر في رؤيتي قطّ؟

فقال الكولونيل بشرود: لا أدري.

وصمت الكولونيل برهة ثم قال: من الصعب أن أشرح لك الأمر. في الواقع إن أمك مختلفة عن...

وصمت، فأومأت إيلفيرا برأسها قائلة: أعلم، أنا أقرأ أخبارها في الصحف. إنها شخصية مدهشة.

- أجل، هي شخصية مدهشة، ولكن الشخص المدهش لا يكون هكذا دائماً، وليس من السعادة أن تكون الأم شخصية مدّهشة.

في نفس تلك اللحظة التفت الاثنان إلى باب المدخل وهو يُفتح بعنف غير معهود في فندق برترام، ثم خطا إلى داخل قاعة الاستقبال شاب اتجه رأساً إلى مكتب الاستقبال وكان يرتدي سُترة من الجلد الأسود، فاسترعت وسامته وحيويّته جميع الأنظار، ثم وقف الشاب أمام الآنسة غورنغ وقال: هل السيدة سِيد جويك تقيم هنا؟

فلم تقابله الآنسة غورنغ بابتسامتها المعهودة وقالت: نعم، هل تريد أن تتصل بها هاتفياً؟

- لا، وإنما أريد أن أترك لها هذه الرسالة.

ثم أخرج الشاب الرسالة من جيب سُترته وهو يقول: لقد

أردت أن أتأكّد فقط من أنها تنزل في هذا الفندق.

ثم أدار الشاب بصره في المكان مستعرضاً وجوه النزلاء، ومرّ ببصره على لاسكومب وإيلفيرا بطريقة عابرة فشعر الكولونيل بالغضب؛ فقد كان يظن أن إيلفيرا فتاة حسناء، ولو أنه كان شاباً لتعلّق بصره بها من بين ذلك الجمع الحاشد من النساء المسنّات، ولكن الشاب لم يُبدِ اهتماماً بالفتاة الحسناء ثم اتجه ببصره مرة أخرى إلى مكتب الاستقبال ورفع صوته وكأنه يثير انتباه الآنسة غورنغ قائلاً: ما رقم هاتف الفندق؟ أليس ١١٢٩؟

- بل هو ٣٩٢٥.

- ريجنت؟

- لا، ماي فير.

فأومأ الشاب برأسه وخرج بمثل الاندفاع الذي جاء به، فقال الكولونيل لاسكومب: ما أعجب شباب اليوم!

فابتسمت إيلفيرا ثم قالت: ألا تعرف ذلك الشاب؟ إنه لاديسلاوس مالينووسكي.

- آه، بطل سباق السيارات؟

- نعم، لقد كان بطل السباق الدولي للسيارات منذ عامين، ثم أُصيب إصابات بالغة منذ عام في أحد الحوادث ولكنه عاد مرّة أخرى إلى سباق السيارات.

ثم رفعت إيلفيرا رأسها منصتة لصوت المحرك الصاخب الذي ارتفع خارج الفندق وقالت: تلك هي سيارة السباق التي يقودها الآن.

واستنتج الكولونيل لاسكومب من نظرات الفتاة أن لاديسلاوس مالينووسكي واحد من الأبطال المحببين إلى قلبها. ثم أدار الكولونيل وإيلفيرا أبصارهما نحو باب المدخل الذي فُتح مرة أخرى، وكان القادم في تلك المرّة مجرّد واحد من رجال الدين أشيب الشعر، وقد وقف الكاهن في مكانه برهة حائراً وكأنه يفكر مَن هو ومن أين جاء، ولم تكُن هذه الحالة من النسيان هي أول حالة تحدث للكاهن بنيفاذر؛ فقد كان يركب القطار وينسى المكان الذي يتّجه إليه أو المهمّة التي خرج من أجلها. فقال لاسكومب: أعتقد أنني أعرف ذلك الكهل، إنه يتردّد على هذا الفندق عادة.

فتابعت إيلفيرا الكاهن بنظراتها دون اهتمام؛ فهو لا يسترعي الانتباه بالقياس إلى بطل سباق السيارات. وقد أشرق وجه الكاهن عندما تذكّر أنه في فندق برترام، ولكنه لم يتذكّر أين هو ذاهب، فسأل نفسه قائلاً: هل أنا ذاهب إلى كادمنستر؟ لا، لقد جئت تواً من كادمنستر كي أذهب إلى مؤتمر سيُعقد في لوسرن.

ثم خطا الكاهن باسماً نحو مكتب الاستقبال، فاستقبلته الآنسة غورنغ بابتسامة مشرقة وهي تقول: يسعدني أن أرى الكاهن بنيفاذر في صحة جيّدة.

- الحمد لله وشكراً لك. لقد أُصبت ببرد شديد في الأسبوع الماضي ولكنني في صحّة جيدة الآن. هل حجزتم لي حجرة؟ لقد أرسلت إليكم رسالة بذلك.

- نعم، بالتأكيد. لقد حُجزت لك الغرفة رقم ١٩، وهي

نفس الغرفة التي كنت تشغلها في المرّة السابقة.

- شكراً لك، سوف أحتاج إليها مدّة أربعة أيام، وسوف أقضي ليلة في لوسرن، ولكنني أريد أن تظل الغرفة محجوزة لأنني سأترك حقائبي ولن آخذ معي سوى حقيبة سفر صغيرة.

فطمأنته الآنسة غورنغ إلى أن كل شيء سوف يجري وفق التعليمات التي ذكرها في رسالته، فتنفس الكاهن بارتياح وتسلّم مفتاح غرفته ليحمل إليها متاعه.

* * *

كانت السيدة كاربنتر ترتب الغرفة رقم ٨ وقت دخول إيلفيرا، ثم أخبرتها بأنها اختارت لها الغرفة الداخلية في الجانب الآخر من الحمام المشترَك كي تكون بعيدة عن ضوضاء الشارع، فأعربت الفتاة عن ارتياحها لذلك، ثم قالت إنها ستأخذ حمّاماً وستغيّر ثيابها. واجتازت باب الحمّام فأغلقته وراءها ثم دخلت غرفتها وجلست على حافة السرير وانتظرت بعض الوقت حتى اطمأنت إلى أن أحداً لن يقاطعها، ثم رفعت سماعة الهاتف قائلة: هذه غرفة رقم ٩، هل تسمحين بطلب رقم ١١٢٩ ريجنت؟

* * *

الفصل الثالث

في مكتب مساعد رئيس اسكتلنديارد كان قد انعقد اجتماع يرأسه السير رونالد غريفز ويحضره ستّة من المفتّشين، وكان الموضوع الذي يشغل بال المجتمعين هو زيادة عدد السرّقات الضخمة خلال العامَين الأخيرين، فقد حدثت على فترات متقاربة مجموعة من حوادث السرقات الكبيرة والسطو على المصارف والقطارات والرسائل البريدية التي تضمّ بعض الجواهر.

وقد استعرض السير رونالد غريفز بنظراته المجتمعين، ثم أومأ برأسه نحو رجل يجلس في آخر مائدة الاجتماع قائلاً: والآن، دعنا نستمع إلى رأيك أيها الأب.

وكان الرجل المقصود بالحديث هو كبير المفتّشين فريد ديفي، وكان قد تقاعد منذ فترة قصيرة ومن ثَمّ لقّبوه بالأب، فقال ديفي: إنها مشكلة كبيرة وتزداد خطورة.

- هل تعني زيادة عدد الحوادث؟

- نعم.

فسأله المفتّش كومستوك: وهل تعتقد أن ذلك في صالح المجرمين؟

- نعم، وفي نفس الوقت لا. قد يتطوّر الأمر إلى كارثة؛ إذ يبدو أن الجرائم تخضع إلى تخطيط محكَم.

فقال المفتّش أندروز: أعتقد أن حجم الجناة يلعب دوراً كبيراً، فلو أن شخصاً واحداً قام بالعمل فإنه سيحرز النجاح إذا كان حجم العملية مناسباً، ولكن العمل إذا تشعّب وازداد عدد الجناة فربما خرج الأمر من أيديهم.

فسأله السير رونالد قائلاً: وكم عدد الجناة المشتركين في تلك الجرائم في اعتقادك؟

- أكبر مما كنا نتصوّر في البداية.

قال المفتّش ماك نيل: أنا أوافق الأب على أن المسألة تنمو وتزداد خطورة.

فقال ديفي: ربما كان تطوّر الأمور بسرعة في صالحنا، حيث يمكن أن يسقط الجناة بين أيدينا.

- السؤال الآن يا سير رونالد هو مَن الذي نبدأ به ومتى؟

فقال كومستوك: أمامنا ما يقرب من عشرة، حيث توجد عصابة هاريس، ونحن نعلم أنها تشارك في الجرائم، كما يوجد وكر صغير بالقرب من لوتون، ويوجد مرأب في أبسوم، ومشرب بالقرب من ميدان هيد، ومزرعة على طريق غريت نورث.

- أتظن أن أي مكان من تلك الأماكن جدير بأن نبدأ به؟

- لا أظن؛ فكلّها مراكز صغيرة، مجرّد حلقات في سلسلة، حيث يوجد مكان يتمّ فيه تغيير السيارات بسرعة، ومشرب

محترم يتمّ فيه تسليم التعليمات، ومحلّ للملابس المستعملة لتغيير شكل الأشخاص، ومخزن مسرحي في إيست إند لعمل التنكّر. ويتم الدفع بسخاء لهؤلاء الناس، ولكنهم لا يعلمون شيئاً عن حقيقة تلك العمليات.

وقال المفتّش أندروز بهدوء: نحن نواجه عقولاً كبيرة لم نحدّدها بعد، وكل ما نعرفه بعض الصغار الذين يعملون لحسابهم، وكما ذكرت إن عصابة هاريس تشترك معهم ويقوم ماركس في الطرف الآخر بالتمويل، وتتمّ الاتصالات الخارجية عن طريق ويبر ولكن ذلك الأخير مجرّد عميل. صحيح أننا نعرف أنه توجد شبكة مُحكَمة للاتصالات بينهم ولكننا لا نعرف الطريقة التي تتم بها هذه الاتصالات، وهم يدركون أننا نراقبهم ونتتبعهم. ما نسعى إليه هو معرفة العقول المدبّرة.

فقال المفتّش كومستوك: لا شكّ في وجود مركز للقيادة يتمّ فيه التخطيط وتحديد نوع العملية، ونحن في حاجة إلى معرفة هؤلاء المخطّطين.

- قد يكون خارج البلاد.

- هذا صحيح، فقد تُدار العمليات من خيمة في مراكش أو منزل صغير في سويسرا.

ولما كان السير رونالد يستمع إلى الحديث أكثر مما يشارك فيه قال له المفتّش ماك نيل ضاحكاً: حسناً يا سيدي، ما الهدف الرئيسي من عقد هذا الاجتماع؟

فلاذ السير رونالد بالصمت برهة ثم قال: حسناً، لقد اتفقنا حول بعض النقاط، ومن رأيي أن ندقّق في بعض الأشياء

الصغيرة التي قد تبدو تافهة للوهلة الأولى. من الصعب أن أشرح وجهة نظري ولكنني سأسترعي انتباهكم إلى قضية سابقة، قضية كالفر التي حدثت منذ بضع سنوات والتي تمّ فيها العثور على بقعة حبر. هل تذكرون بقعة الحبر التي كانت حول جُحر فأر؟ لم نُعِر الأمر اهتماماً في البداية، ولكن اتّضح أن الحلّ كان يكمن في بقعة الحبر. هذا ما أردت أن ألفت انتباهكم إليه، البحث عن الأشياء التي قد تبدو غريبة أو غير عادية. أرى أن الأب يومئ برأسه.

فقال كبير المفتّشين: أنا متفق معك تماماً. هيا يا شباب، حاولوا أن تفتحوا أعينكم، حتى لو كان الأمر يتعلّق برجل يضع فوق رأسه قبّعة مضحكة.

ولم تحدث استجابة مباشرة فاستطرد الأب قائلاً: سوف أبدأ المحاولة بنفسي، سوف أقصّ عليكم قصّة مسلّية حقاً لأحرّك أذهانكم. هل تذكرون سرقة مصرف لندن متروبوليتان فرع شارع كروموبلي؟ لقد طلبنا من الجمهور أن يوافينا بأرقام السيارات التي كانت موجودة بالقرب من مكان الحادث وألوانها فجاءنا ما يقرب من مئة وخمسين بلاغاً مضلّلاً، وفي النهاية استطعنا حصر شكوكنا في سبع سيارات شوهدت في منطقة السرقة، ولم نستطع أن نتعقب اثنين منهما، وربما كان ذلك بسبب تغيير أرقام لوحاتهما، ولكننا استطعنا التعرّف عليهما في النهاية. أريد أن أذكّركم بواحدة منها، سيارة موريس أُكسفورد سوداء رقمها س م ج ٢٥٦، وقد ذكر أحد ضبّاط الاحتياط أنه شاهد السيارة يقودها السيد غاستيس لادغروف.

وصمت برهة ليرى ما إذا كان حديثه قد أثار الاهتمام

ثم استطرد قائلاً: وبعد ذلك اتضح أن السيد لادغروف كان موجوداً في المحكمة لحظة وقوع السرقة وأنه يمتلك سيارة موريس أُكسفورد بالفعل، إلا أن رقمها س م ج ٢٦٥، وكما ترون الرقم قريب من الذي تضمّنه البلاغ، وهو خطأ كثيراً ما يقع من الإنسان وهو يحاول أن يتذكّر رقم سيارة و...

فقاطعه السير رونالد قائلاً: أنا لا أفهم ما تعنيه.

- أليست مصادفة غريبة أن توجد سيارتان من نفس الطراز واللون مع الاختلاف في رقم واحد، ووجود رجل في السيارة شديد الشبه بصاحب السيارة الأخرى؟

- هل تعني...؟

- لقد شوهدت بعد وقوع السرقة سيارة موريس أُكسفورد رقمها س م ج ٢٦٥، وقال ضابط الاحتياط إن قائد السيارة هو غاستيس لادغروف.

- هل تريد أن تقول إن السيد لادغروف كان هو قائد السيارة بالفعل؟

- لا، لا أريد أن أقول إن السيد لادغروف كانت له صلة بالحادث؛ فقد كان مقيماً في فندق برترام، وساعة وقوع الجريمة كان في المحكمة، ولكن الذي أريد أن أقوله هو أن رقم السيارة وتعرّف ضابط الاحتياط على لادغروف يُعتبر نوعاً من المصادفات التي تعني شيئاً.

فقال المفتّش كومستوك: توجد قضية أخرى مشابهة تتعلق بسرقة الجواهر في برايتون، حينما أبلغت إحدى السيدات أنها

شاهدت قائد أسطول بحري كهل، لا أذكر اسمه الآن، في مكان الحادث.

- وهل ثبت وجوده في مكان الحادث بالفعل؟

- لا، الحقيقة أنه كان في لندن تلك الليلة ثم خرج لتناول العشاء في البحرية على ما أظن، كما اتضح أنه ينزل في برترام، وهو مكان هادئ يفضّل عدد كبير من المسنّات والمسنين أن يذهبوا إليه.

فقال ديفي بصوت خفيض: فندق برترام؟

* * *

استيقظت الآنسة ماربل في وقت مبكّر كعادتها، ثم غادرت الفراش كي تفتح النافذة ليتسرّب ضوء النهار إلى الحجرة، ثم عادت إلى فراشها وألقت نظرة إلى ساعتها، وكانت الساعة في تمام السابعة والنصف، كما قرأت صفحة ونصف صفحة من الكتاب الذي تحمله معها، ثم شغلت نفسها بالتطريز بعض الوقت وهمست لنفسها قائلة: يوم جديد، ولكن مَن يدري ماذا يحمل من أحداث؟

ثم استرخت وتركت المفرش الذي تقوم بتطريزه وهي مستسلمة لأفكارها، ففكّرت في سيلينا هينري وفي أن المنزل الذي تشغله في سانت ماري ميد لطيف، كما فكّرت في فطائر الزبد اللذيذة التي يقدّمها الفندق، الفندق الذي يحافظ على مظهره القديم ويجتذب الكثير من المسنّين الذين يحبون أن يعيشوا بعض الوقت مع ذكريات الماضي. ثم لاحظت أن فندق برترام لا

يبدو حقيقياً بالمرّة وأنه يوجد خطأ ما في المكان. لقد أقامت فيه الآنسة ماربل منذ خمسين بل ستين عاماً، وكان حقيقياً في ذلك الوقت، وهي تعني الفندق ونزلاءه. ثم تساءلت الآنسة ماربل عن سرّ عدم شعورها بالارتياح في الليلة الماضية وإحساسها بأنه يوجد خطأ في المكان، وأن هؤلاء الناس المسنين ليسوا حقيقيين كالذين عرفتهم في الماضي، ولكنهم كانوا حقيقيين في الواقع. ثم نظرت الآنسة ماربل إلى الساعة فوجدت أن العقارب تشير إلى الثامنة والنصف، موعد الإفطار، فقرأت تعليمات الفندق فوجدت نفسها أمام أمرين، وهما إما أن تطلب الإفطار في حجرتها بالهاتف أو تضغط الجرس للخادمة المسؤولة عن الغرف، وقد فضّلت الاختيار الثاني. وما كادت تضغط الجرس حتى أسرعت إليها الخادمة، فطلبت الآنسة ماربل بيضاً مسلوقاً مع الشاي والخبز الطازج، وبعد قليل عادت الخادمة وهي تحمل صينية فاخرة عليها الطعام، فسألتها الآنسة ماربل قائلة: هل تعملين هنا منذ وقت طويل؟

فأجابتها الخادمة قائلة: منذ ثلاث سنوات فقط يا سيدتي.

- وأين كنت تعملين قبل ذلك؟

- كنت أعمل في أحد الفنادق العصرية، ولكنني أفضّل العمل في الفنادق ذات الطراز القديم كهذا الفندق.

رشفت الآنسة ماربل جرعة من الشاي، ثم أخذت تترنّم بأغنية قديمة، فنظرت الخادمة إليها بدهشة فقالت الآنسة ماربل بسرور: هذه أغنية قديمة، يتذكر الإنسان مثل هذه الأشياء في فندق عتيق مثل هذا الفندق.

غادرت الخادمة الحجرة بهدوء؛ فقد تعوّدت من نزلاء الفندق المسنّين الثرثرة واسترجاع ذكريات الماضي البعيد. وعندما فرغت الآنسة ماربل من تناول الإفطار استعدّت للخروج، فارتدت قفازها وأخذت المظلّة تحسّباً لتقلّبات الجوّ، كما حملت حقيبة المشتريات؛ فقد كانت تعتزم القيام بجولة لشراء بعض الأشياء ذلك اليوم في شارع إسكفور، وغداً في نايتسبريدج.

وعندما فتحت الآنسة ماربل الباب سمعت صوت باب الحجرة الثالثة بعد حجرتها يُفتح بصوت مسموع، ثم رأت وجه بيس سِيد جويك يطلّ منه، ولكنها تراجعت بسرعة وأغلقت الباب وراءها بعنف، فتعجّبت الآنسة ماربل من تصرّف بيس سِيد جويك، ثم تباطأت في النزول حتى توقّفت، في حين كان الكولونيل لاسكومب يسير في الردهة بعد خروجه من حجرته، ففُتح باب أعلى الدرَج بعنف ثم وجّهت إليه السيدة سِيد جويك الحديث قائلة: ها قد جئت أخيراً! لقد انتظرتك طويلاً. إلى أين نذهب لنتحدّث؟ أعني في مكان لا تتلصّص علينا فيه بعض السيدات المسنّات. حسناً، ربما كانت غرفة الكتابة مناسبة، ولكن من الأفضل أن تدخل حجرتي بسرعة قبل أن تراك الخادمة وتثير حولنا الأقاويل.

دخل الكولونيل مرغماً فأغلقت السيدة سِيد جويك الباب بعنف. وقال الكولونيل: لم تكُن لدي فكرة أنك تنزلين بهذا الفندق يا بيس، ولو كنت أعرف لما أتيت بإيلفيرا إلى هنا. هل تعرفين أنها هنا؟

- نعم، لقد رأيتها معك في الليلة الماضية.

- لم أكُن أتوقّع وجودك في مثل هذا المكان.

فقالت بيس سِيد جويك ببرود: لماذا؟ إنه من أكثر فنادق لندن راحة، فلماذا لا أنزل فيه؟

وعندما وجدت الكولونيل صامتاً ضحكت ضحكة مرحة ثم قالت برقّة: لا تضطرب هكذا يا عزيزي ديريك، أنا لا أوجّه إليك اتهاماً. كثيراً ما تحدث مثل هذه الأمور فيلتقي الإنسان بأشخاص في أشدّ الأماكن غرابة، ولكن يجب أن تُبعد إيلفيرا عن هذا المكان يا ديريك، يجب أن تفعل ذلك اليوم وفي الحال.

- لقد أتيت بها لتقضي ليلتين فحسب، وسوف تذهب غداً إلى بيت العم ميلفورد.

- يا للفتاة المسكينة! سوف تشعر بالملل هناك، ولا سيّما بعد فترة إقامتها في إيطاليا.

فاستجمع الكولونيل أطراف شجاعته وقال: لقد فوجئت بوجودك هنا يا بيس. لماذا لا تلتقين بابنتك؟

- ما هذا الذي تقول يا ديريك؟!

- حسناً، ألست أمّها؟

- بلى، أنا أمّها بالتأكيد وهي ابنتي، ولكن ما فائدة هذا بالنسبة لنا؟

- أعتقد أن لديها رغبة في الالتقاء بك.

- ما الذي يحملك على هذا الاعتقاد؟

- بعض كلمات سمعتها منها أمس، فقد سألتني عن مكانك

وماذا تفعلين.

فذرعت بيس سِيد جويك أرض الحجرة جيئة وذهاباً بانفعال، ثم تمالكت أعصابها وقالت: أنت لطيف يا ديريك ولديك بعض الأفكار اللطيفة، ولكنها غير عملية لأنها قد تكون خطيرة.

- خطيرة؟ كيف يا بيس؟

- نعم، خطيرة. أنا خطيرة، وقد كنت كذلك دائماً.

- عندما أفكر في بعض الأشياء التي تفعلينها...

فقاطعته قائلة: هذه شؤوني الخاصة. إن مواجهة المخاطر أصبحت عادة، بل هي لون من الإدمان كالمخدّرات، رغم أنني لم أتناول المخدّرات مرّة واحدة في حياتي. إن الخطر هو العقار الذي أدمنته، وفي هذه الحالة يصبح الناس الذين يعيشون مثل حياتي مصدر خطر على الآخرين. والآن لا تكُن عنيداً يا ديريك وأبعد الفتاة عن طريقي؛ فأنا لا أستطيع أن أحقق لها الخير، بل سأتسبّب لها في الضرر. لا تدعها تعرف أنني أقيم في نفس الفندق، واتصل ببنات عمّك ميلفورد كي يأخذنها اليوم، وتذرّع بأي حجة.

فتردّد الكولونيل وهو يعبث بشاربه قبل أن يقول: أعتقد أنك ترتكبين خطأً يا بيس. لقد سألتني عن مكانك فأخبرتها بأنك في الخارج.

- حسناً، هذا هو ما سأفعله خلال اثنتَي عشرة ساعة.

ثم تقدّمت بيس سِيد جويك نحوه ودفعته برفق نحو الباب

وأغلقت الباب، وبينما كان الكولونيل لاسكومب يخطو مبتعداً عن الحجرة لاحظ وجود سيدة عجوز عند الردهة أمام الدرَج وهي تتمتم قائلة: يا ويلي! أعتقد أنني نسيتها في غرفتي.

ومرّت العجوز بالكولونيل دون أن توليه اهتماماً في الظاهر، ولكنها انتظرت حتى رأت الكولونيل يهبط الدرَج ثم توقّفت أمام باب غرفتها وهي تشيّع الكولونيل بنظرة صارمة، ثم نظرت نحو باب غرفة بيس سِيد جويك وقالت: إذن فقد كان هو مَن تنتظرينه، فلماذا؟

* * *

عندما أحسّ الكاهن بنيفاذر بالنشاط بعد تناول وجبة الإفطار أخذ يتمشّى في قاعة الاستقبال، وتذكّر أن يترك مفتاحه في مكتب الاستقبال، ثم اجتاز الأبواب الدوّارة إلى الخارج حيث أسرع إليه المنادي يسأله عن وُجهته، فتوقّف الكاهن باضطراب وهو يحاول أن يتذكّر المكان الذي يقصده، ثم أشرق وجهه وطلب سيارة أجرة لتنقله إلى المتحف البريطاني، وظلّ المنادي على الرصيف بعد تحرّك السيارة مقطّب الجبين. وفي تلك اللحظة فُتحت إحدى نوافذ الطابق الأرضي للفندق، ولكن المنادي لم ينظر تجاه النافذة حتى سمع صوتاً يقول: أهذا هو المكان الذي انتهيت إليه يا ميكي؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟

فاستدار المنادي مذعوراً وهو يحملق إلى النافذة. لقد كانت السيدة سِيد جويك تطلّ من النافذة ثم قالت له: ألا تعرفني؟

وعندما تعرف على محدّثته قال: يا إلهي! إنها بيسي الصغيرة. بيسي الصغيرة بعد كل تلك السنوات؟!

– لم يكُن أحد غيرك يناديني ببيسي. ماذا كنت تفعل طَوال السنوات الماضية؟

فقال المنادي بتحفّظ: الكثير من الأعمال، ولكن لم تُنشر أخباري في الصحف مثلك. لقد كنت أقرأ الكثير من أخبارك في الصحف.

فضحكت بيسي ثم قالت: على أية حال حظّي أفضل من حظّك. لقد كنت تفرط في الشراب دائماً.

– لقد صادفك حسن الحظّ لأنك كنت تمتلكين المال دائماً.

– لم يكُن المال ليفيدك، فلعلك كنت ستتمادى في الشرب حتى تتحطّم تماماً. أريد أن أعرف كيف وصلت إلى هذا المكان.

– كنت في حاجة إلى وظيفة وكان معي هذه.

ثم أشار بيده إلى الميداليات التي تزيّن صدره، فقالت السيدة سِيد جويك: هل هي ميداليات حقيقية؟

– نعم، وهل تظنينها غير ذلك؟

– أنا أصدّقك؛ فقد كنت مقاتلاً شجاعاً دائماً. لقد كان الجيش أنسب مكان لك.

– لا بأس في الجيش في أثناء الحرب، ولكنه لا يصلح لي وقت السلْم. من الغريب أن نلتقي مرّة أخرى بعد كل تلك السنوات الطويلة! أنا لم أنسَك يا بيسي قطّ. نعم، كم كنت فتاة صغيرة محبوبة!

- لقد كنت فتاة فظيعة.

- هذا حق. لقد كنت مجنونة، وإلا ما قبلت الذهاب معي، كما كنت جسورة في ركوب الخيل، ولم يكُن الخوف يعرف طريقه إلى قلبك قطّ، وقد ظلّ ذلك حالك حتى اليوم. أنا أحكم على ذلك مما قرأته عن ركوبك الطائرات وسيارات السباق.

فضحكت بيس سِيد جويك وقالت: يجب أن أعود إلى كتابة بعض الرسائل.

فقال ميكي عندما رآها تهمّ بالانصراف: لم أنسَ قرية باليغوان، وقد فكّرت في وقتٍ ما أن أكتب إليك.

فقالت بيس سِيد جويك بصوت خشن: ما الذي تقصده يا ميكي جورمان؟

- كنت أقول إنني لم أنسَ شيئاً، لقد كنت أذكّرك فحسب.

فقالت بيس بنفس اللهجة الصارمة: إذا كنت تعني ما أفكّر فيه فسوف أقدّم لك نصيحة صغيرة، وهي إذا بدرت منك مجرّد بادرة إلى إثارة المتاعب فسوف أقتلك رمياً بالرصاص كما أقتل الفأر. لقد قتلت رجالاً من قبل.

- لقد كان ذلك في أماكن أجنبية.

- أماكن أجنبية أو هنا، الأمر عندي سواء.

- يا إلهي! أنا أصدّقك، ففي باليغوان...

فقاطعته قائلة بخشونة: في باليغوان دفعوا لك مبلغاً ضخماً.

لقد حصلت على المال منهم، ولكن لا تتوقّع أن تحصل على شيء منّي.

- لعلها ستكون قصّة مثيرة عندما تُنشر في الصحف.

- لقد سمعت ما قلته لك.

فضحك ميكي قائلاً: آه، أنا لم أكُن جاداً. لقد كان مجرّد مزاح، فلن أُقدِم على أي شيءٍ يسيء إليك يا صغيرتي بيسي، سوف... سوف أُبقي فمي مغلَقاً.

- أرجو أن تفعل ذلك.

أغلقت السيدة سِيد جويك النافذة وعادت إلى المنضدة التي كانت تكتب عليها رسائلها، ونظرت إلى الرسالة التي لم تكملها ثم مزقت الورقة وألقت بها في سلّة المهملات، وبعد ذلك نهضت تاركة الغرفة دون أن تُلقي مجرّد نظرة عابرة حولها قبل أن تغادر قاعة الكتابة.

كانت قاعة الكتابة الصغيرة في فندق برترام تبدو في الظاهر خالية من النزلاء، رغم أنها ليست كذلك. لقد كان فيها مكتبان بالقرب من النوافذ، ومنضدة على اليمين عليها بعض المجلات، وإلى اليسار مقعدان كبيران ظهرهما مرتفع، وغالباً ما كان يشغل هذين المقعدين رجلان من العسكريين المتقاعدين لينعما بالنوم حتى يحين موعد تقديم الشاي، وأي شخص يأتي كي يكتب رسائله لم يكُن يفطن إلى وجودهما، ولذا لم يكُن أحد يرغب في شغل هذين المقعدين في الصباح، ولكن ما حدث أنهما كانا مشغولَين ذلك الصباح؛ فقد كانت تشغل أحدهما سيدة عجوز، وتشغل الآخر شابة صغيرة.

وقفت الشابة تنظر إلى الباب الذي خرجت منه السيدة سِيد جويك، ثم تحرّكت ببطء نحو الباب. وكان وجه إيلفيرا بليك يحاكي في شحوبه وجوه الموتى، وقد مضت خمس دقائق قبل أن تتحرّك السيدة العجوز، وعندئذ قرّرت الآنسة ماربل أن وقت الراحة قد طال أكثر مما ينبغي؛ فقد حان الوقت للاستمتاع بمباهج لندن، ففكّرت في أن تأخذ الحافلة إلى بيكاديلي أو مارشال ستيلغروف، أو الحافلة رقم ٢٥ لتذهب إلى مخازن الجيش والبحرية. وكان المنادي الأيرلندي واقفاً بالقرب من الباب الخارجي فسألها هل تريد إحدى سيارات الأجرة، وعندما أخبرته بأنها تفكّر في ركوب الحافلة رقم ٢٥ حذّرها من تهوّر السائقين في التحرّك والوقوف، ثم نصحها بركوب سيارة أجرة كالملكات، ففكرت العجوز قليلاً ثم قالت أخيراً: حسناً، ربما كان من الأفضل أن أركب سيارة أجرة.

فاستوقف المنادي إحدى سيارات الأجرة وعاون الآنسة ماربل حتى استقرّت في مقعدها. وقد استقرّ رأيها على أن تذهب إلى محلات روبنسون وكليفر لتشتري بعض المفارش من الكتّان ومناشف الأطباق.

* * *

اتجهت السيدة سِيد جويك نحو مكتب الاستقبال وسألت الآنسة غورنغ قائلة: هل السيد همفريس موجود؟

ثم طرقت طرقة خفيفة على الباب قبل أن تقتحم الغرفة قائلة للسيد همفريس بانفعال: مَن الذي أتى بمايكل جورمان؟

فتردّد السيد همفريس قليلاً قبل أن يقول: لقد أُصيب

المنادي السابق في حادث سيارة منذ شهر، وكان لا بدّ أن نقوم بتعيين بديل له على وجه السرعة، وقد تقدّم لنا ذلك الرجل بأوراق مُرضية وتقارير الجيش عنه ممتازة. ربما لم يكُن على درجة عالية من الذكاء ولكن ذلك يُعتبر ميزة في بعض الأحوال. هل لديك أسباب للاعتراض على استخدامه؟

- عندي من الأسباب ما يكفي كي أطلب استبعاده.

فقال همفريس: إذا كنت مصرّة فلا مانع من إعطائه إنذاراً.

فقالت السيدة سِيد جويك ببطء: لا، لقد تأخّر الوقت لاتخاذ مثل هذا الإجراء، فانسَ الموضوع.

* * *

الفصل الرابع

توجّهت إيلفيرا بليك إلى منزل صديقتها بريدجيت في ميدان أونسلو، فطلبت منها صديقتها أن تصعد معها إلى غرفتها قبل أن تراها أمّها وتوجّه إليهما سيلاً لا ينتهي من الأسئلة، وعندما أصبحت الفتاتان وحدهما في غرفة النوم قالت إيلفيرا بغموض: استمعي إليّ جيداً يا بريدجيت، فلديّ أمر بالغ الخطورة. لا بدّ أن أعمل شيئاً وعليك أن تساعديني.

- حسناً، إذا كان ذلك في استطاعتي. هل هو رجل؟

- لا، يجب أن أذهب إلى أيرلندا لمدّة أربع وعشرين ساعة، وربما لفترة أطول، ولذا يجب عليك أن تغطي فترة غيابي.

- تسافرين إلى أيرلندا؟! لماذا؟

- لا أستطيع أن أخبرك الآن لأن الوقت لا يتسع لذلك. والآن يجب أن أقابل الكولونيل لاسكومب، الوصي عليّ، في مطعم برونيار لتناول الغداء في الساعة الواحدة والنصف.

- وماذا فعلت بالسيدة كاربنتر؟

- تخلّصت من صحبتها في دبنهام.

فضحكت بريدجيت ساخرة فقالت إيلفيرا: سوف يأخذني الكولونيل لاسكومب بعد الغداء إلى بنات العم ميلفورد، وسوف أعيش معهن حتى أبلغ الحادية والعشرين من عمري.

- يا له من أمر مقزز!

- أعتقد أنني سوف أتمكّن من التحايل عليهن؛ فابنة العم ميلدريد ساذجة يسهل خداعها. لقد اخترن لي الدراسة في معهد يطلَق عليه اسم «العالَم اليوم»، وسوف تتضمن الدراسة بعض المحاضرات وزيارة بعض المتاحف والمعارض الفنية ومجلس اللوردات وغير ذلك. المهم أن أحداً لن يعرف ما إذا كنت موجودة في المكان الذي سيذهبون إليه أم لا. سوف نتغلّب على الكثير من المتاعب.

فقالت بريدجيت وهي تقهقه باستهزاء: أتوقّع أن تفعلي ذلك، ألم نفعل ذلك في إيطاليا بنجاح رغم صرامة الكونتيسة العجوز؟

ثم ضحكت الفتاتان وهما تتذكّران الأعمال الشرّيرة التي اشتركتا فيها، ثم قالت إيلفيرا: ومع ذلك لا يزال الأمر بحاجة إلى بعض التخطيط.

- وبعض الأكاذيب. هل سمعت شيئاً عن جويدو؟

- نعم، لقد أرسل إليّ رسالة مطوّلة بتوقيع جنيفرا، على أنه إحدى صديقاتي. ولكنني أرجو أن تكفّي عن الثرثرة لأن أمامنا عملاً كثيراً ولم يبقَ على موعدي سوى ساعة ونصف ساعة فقط.

استمعي إليّ جيداً، إن لديّ موعداً مع طبيب الأسنان غداً، ولكنني أستطيع أن ألغي الموعد بالهاتف أو تستطيعين أن تفعلي ذلك نيابة عنّي، وفي منتصف النهار عليك أن تتصلي ببنات العم ميلفورد منتحلة شخصية أمّك لتقولي لهن إن الطبيب يريد أن يراني مرّة ثانية في اليوم التالي وإنني سأظلّ معكم.

- هذا أمر سهل جداً، وسوف يرحّبن بذلك لأننا سنوفّر عليك مشقّة السفر. ولكن افترضي أنك لم تصلي في اليوم التالي، فما الحلّ؟

- في هذه الحالة عليك أن تقومي بالمزيد من الاتصالات الهاتفية.

فنظرت إليها بريدجيت بارتياب فقالت إيلفيرا: لدينا متّسع من الوقت كي نفكّر في بعض الحجج، ولكن ما يقلقني الآن هو موضوع المال. هل لديك نقود؟

- معي جنيهان.

- هذا المبلغ لا يصلح لشيء، يجب أن أشتري تذكرة الطائرة، وقد استعرضت جدول المواعيد فوجدت أن الرحلة تستغرق نحو ساعتين، ويتوقّف الأمر على المدة التي سوف أقضيها في رحلة العودة.

- ألا تستطيعين أن تخبريني بما تنوين فعله؟

- نعم، لا أستطيع، ولكنه أمر في غاية الخطورة.

فنظرت إليها بريدجيت بقلق وهي تقول: هل الأمر خطير إلى هذا الحدّ؟

- نعم.

- هل هو أمر لا تحبين أن يعرف عنه أحد شيئاً؟

- نعم، إنه سرّ خطير، ويجب أن أتحقق من أمر معيّن، ولكن المشكلة هي افتقاري إلى النقود رغم أنني غنية جداً. هكذا أخبرني الوصي عليّ.

- أليس في استطاعتك أن تطلبي منه النقود التي تحتاجين إليها؟

- سوف يسألني عن سبب حاجتي إلى النقود. هل سبق لك أن رهنت شيئاً يا بريدجيت؟

- لا، قطّ.

- أعتقد أن الأمر في غاية السهولة، سوف تذهبين إلى محلّ الجواهر الذي تعلو بابه ثلاث كرات.

- ولكنني لا أملك شيئاً أرهنه.

- ربما لم يكُن أمامنا سوى أن نسرق شيئاً.

فقالت بريدجيت بفزع: آه! لا أظن أننا نستطيع أن نفعل ذلك.

- سوف نذهب إلى السيد بولارد.

- ومَن يكون السيد بولارد؟

- الجوهريّ الذي تتعامل معه الأسرة. إنني أذهب إليه عندما تحتاج ساعتي إلى الإصلاح، وهو يعرفني منذ كنت في

السادسة. هيا نخرج الآن يا بريدجيت.

- من الأفضل أن نخرج من الباب الخلفي حتى لا تسألنا أمي عن وجهتنا.

* * *

وقفت الفتاتان خارج محلّ جواهر بولارد وهوايتلي في شارع بوند تتفقان على الخطّة، ثم بدأتا بضبط ساعتيهما بعدما تمّ الاتفاق على أن تكون ساعة الصفر في الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة بالضبط، فقالت بريدجيت باضطراب: ولكن لنفترض...

- نفترض ماذا؟

- لنفترض أن السيارة دهستني بالفعل، فماذا سأفعل؟

- لن تدهسك السيارة لأنك خفيفة الحركة وتعرفين أن قائدي السيارات في لندن اعتادوا التوقّف فجأة، سوف تسير الأمور على ما يرام.

- لا أظن أنك ستتخلّين عنّي.

- لن أتخلى عنك بالتأكيد.

- حسناً، لنبدأ الآن.

عبرت بريدجيت إلى الجانب الآخر من الطريق في حين دفعت إيلفيرا باب المحلّ وسألت عن السيد بولارد الذي أسرع إلى تلبية طلباتها، ثم أخذت إيلفيرا تتأمّل المعروضات من وراء الزجاج السميك، فقال لها السيد بولارد: يسعدني أن أراك في

لندن يا آنسة بليك. هل من خدمة أستطيع أن أؤديها لك؟

فعرضت عليه ساعة أخرجتها من جيبها قائلة إنها تحتاج إلى ضبط، فقال الجوهري: إن هذه عملية بسيطة.

ثم طلب منها العنوان الذي سيرسلها إليه بعد الإصلاح فأعطته إيلفيرا العنوان ثم قالت: لديّ موضوع آخر، أنت تعرف الكولونيل لاسكومب الوصيّ عليّ طبعاً. لقد سألني أن أختار الهدية التي أرغب في أن تُقدَّم إليّ في عيد الميلاد، واقترح عليّ رؤية بعض معروضاتكم لأختار من بينهما ما يروقني، فطلبت منه أن آتي وحدي أولاً كي أوفّر عليه بعض الحرج، أعني الأسعار وما إلى ذلك.

فقال السيد بولارد ببشاشة: معك حق يا آنسة، والآن ماذا تختارين؟ دبوساً أم سواراً أم خاتماً؟

فقالت إيلفيرا: أعتقد أن الدبوس أكثر ملاءمة، ولكنني أحب أن ألقي نظرة على بعض الجواهر الأخرى.

- بكل سرور، يجب أن لا يتعجّل الإنسان في الاختيار.

كان السيد بولارد صبوراً وهو يُخرج بعض القطع ويعرضها فوق قطعة من القطيفة، وكانت إيلفيرا تدير وجهها نحو المرآة لتتأمّل القطع التي تقوم بتجرِبتها، ثم وقع اختيارها على سوار صغير وساعة يد مرصّعة بفصوص من الألماس ودبوسين وضعتهما على الجانب، فقال السيد بولارد: سوف نسجّل هذه القطع حتى إذا جاء الكولونيل لاسكومب عرضناها عليه ليقرّر أي واحدة منها يختارها لك.

فقالت إيلفيرا بهدوء: سيكون ذلك شيئاً لطيفاً لأن الكولونيل سوف يشعر أنه هو الذي اختار لي الهدية بنفسه، أليس كذلك؟

وفي تلك اللحظة كانت الساعة تمام الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة حينما سُمع في الخارج صوت كبّاحة إحدى السيارات وهي تتوقّف فجأة وصرخة عالية لفتاة، فاتجهت أبصار جميع الموجودين داخل محلّ الجواهر إلى النوافذ المطلّة على الطريق ليستطلعوا الأمر، فانتهزت إيلفيرا اللحظة الخاطفة التي سنحت لها فمدّت يدها بسرعة لتضع إحدى القطع في جيبها دون أن يفطن إليها أحد. قال السيد بولارد بانفعال: آه، لقد كاد يقع حادث رهيب لتلك الفتاة الحمقاء التي تندفع عبر الطريق بهذا الشكل!

وكانت إيلفيرا تتحرّك بالفعل نحو الباب، ثم نظرت إلى ساعتها وهي تقول: يا إلهي! لقد أمضيت وقتاً طويلاً في المحلّ وأخشى أن يفوتني القطار. شكراً جزيلاً يا سيد بولارد، وأرجو أن لا تنسى القطع الأربعة التي اخترتها.

وأسرعت إيلفيرا إلى الخارج واستدارت بسرعة إلى الجانب الأيسر من الطريق ثم إلى اليسار، ثم توقّفت أمام واجهة أحد المحالّ حتى لحقت بها بريدجيت متقطعة الأنفاس وقالت وهي تلهث: آه! كنت خائفة جداً. لقد خيّل إليّ أنني سوف أموت، لقد تمزّق جوربي.

- لا عليك، هيا بنا.

- هل سارت الأمور على ما يرام؟

فوضعت إيلفيرا يدها في جيبها وأخرجت سواراً مرصعاً بالألماس، فقالت بريدجيت بارتياع: إيلفيرا! كيف جرؤت على مثل هذا العمل؟

- اذهبي الآن إلى محلّ الرهون واطلبي مئة جنيه.

- ألا يحتمل أن يكون مُدرَجاً في قائمة الأشياء المسروقة؟

- لا تكوني غبية، لم يعرف أحد أنه قد سُرق بعد.

- ولكنهم قد يكتشفون الأمر بسرعة فيبلغون الشرطة.

فقالت إيلفيرا بثقة إنها تستبعد حدوث ذلك لأنهم يعرفونها في المحلّ، كما يعرفون أنها ستكون من العملاء المرموقين، ثم أردفت قائلة: هيا أسرعي وأحضري النقود ثم احجزي لي تذكرة الطائرة. آه! يجب أن أسرع؛ فقد تأخّرت عن موعدي، سوف أكون معك صباح غدٍ في نحو العاشرة والنصف.

فقالت بريدجيت بفزع: كنت أرجو أن لا تعرّضي نفسك لكل هذه المخاطر إيلفيرا.

ولكن إيلفيرا لم تسمعها؛ فقد أسرعت إلى إحدى سيارات الأجرة.

* * *

قضت الآنسة ماربل وقتاً ممتعاً في روبنسون وكليفر، واشترت بعض المفارش الغالية المصنوعة من الكتان، ثم عثرت على حافلة تقلّها إلى مخازن الجيش والبحرية، وهو محلّ ضخم تُعرض فيه كافة ألوان البضائع ويتردّد عليه العاملون في الجيش وأفراد أُسرهم. وكانت الآنسة ماربل قد عرفت ذلك المكان منذ

طفولتها عندما صحبتها عمتها إليه، كما يضمّ مطعماً لم تتردّد الآنسة ماربل في التوجه إليه، ثم أدارت بصرها في صالة المطعم الكبيرة لتجد مفاجأة جديدة في انتظارها. كانت توجد سيدة طالما قرأت أخبارها في الصحف ولم ترَها إلا أمس في فندق برترام، ثم يشاء القدر أن تراها في أكثر الأماكن غرابة، مطعم مخازن الجيش والبحرية.

كانت بيس سِيد جويك تجلس مع شاب يرتدي سُترة من الجلد الأسود ووجهه يحاكي وجه الصقر ويتميّز بوسامة لافتة للنظر، إلا أن الآنسة ماربل لم تشعر نحوه بالارتياح منذ النظرة الأولى. وكان يصغر بيس بخمس عشرة سنة وربما عشرين.

جلست الآنسة ماربل إلى مائدة قريبة منهما، وتناولت غداءها وهي تفكّر في زيارة قسم الأدوات المكتبية، ثم دفعها الفضول، أو ما تسمّيه هي بالاهتمام بشؤون الآخرين، إلى التصنّت على حديث بيس والرجل الذي يجلس معها. وحتى تتمكّن من ذلك تركت قفازها فوق المائدة وسارت متّجهة نحو الخزانة متعمّدة المرور أمام مائدة السيدة سِيد جويك، وبعد أن دفعت حسابها تذكّرت القفاز فعادت لتأخذه.

ولسوء حظّها وقعت حقيبتها على الأرض فتبعثر ما بداخلها، فأسرعت إحدى الخادمات إلى مساعدتها في جمع الأشياء المبعثرة، فاضطُرّت الآنسة ماربل إلى إظهار استيائها الشديد لما حدث، ثم سقطت بعض قطع العملة ومفاتيحها، إلا أن تلك الحيلة لم تُتح لها الحصول على الشيء الكثير، ولكن محاولتها لم تذهب سُدى. وانتظرت الآنسة ماربل المصعد وهي تستجمع في ذاكرتها الكلمات التي التقطتها أذناها وهي: ماذا

بشأن النشرة الجوية؟

- كل شيء على ما يرام، لن يوجد ضباب.

- هل أُعدّ كل شيء بالنسبة للوسرن؟

- نعم، ستقلع الطائرة في الساعة التاسعة وأربعين دقيقة.

وكان هذا هو كل ما حصلت عليه في المرّة الأولى، أما في طريق عودتها فقد قضت وقتاً أطول، كما كانت بيس سِيد جويك تتحدّث بغضب قائلة: ما الذي دهاك كي تأتي إلى برترام أمس؟ لم يكُن ينبغي أن تقترب من المكان.

- لقد كنت أسأل عما إذا كنت تنزلين في الفندق أم لا، ثم إن الجميع يعلمون أننا صديقان.

- برترام مناسب لي وليس لك. إنك عندما تظهر في مكان تتّجه إليك جميع الأنظار.

- لينظروا كما يشاؤون.

- أنت غبي حقاً! لماذا؟ لا شكّ أن لديك دافعاً، أنا أعلم أن...

فقاطعها قائلاً: هدّئي من روعك يا بيس.

- أنت كذاب أشِر.

وكان هذا كل ما سمعته الآنسة ماربل، وقد وجدت فيه مادة مسلّية.

* * *

الفصل الخامس

في مساء التاسع عشر من شهر نوفمبر انتهى الكاهن بنيفاذر من تناول عشاء مبكّر في مطعم الأثينيوم، ثم التقى ببعض الأصدقاء الذين تبادل معهم بعض المناقشات، وبعد ذلك نظر الكاهن إلى ساعته فوجد أن الوقت قد حان كي يلحق بالطائرة إلى لوسرن. وبينما كان يجتاز الصالة التقى بالدكتور هويتاكر الذي بادره قائلاً: كيف حالك يا بنيفاذر؟ لم أرَك منذ زمن طويل، ما أخبار المؤتمر؟ هل توصلتم إلى نتائج طيّبة؟

- لا شكّ أننا سوف نتوصل إلى نتائج طيّبة.

- ألست عائداً من المؤتمر الآن؟

- نعم، لست عائداً من المؤتمر، وإنما أنا في الطريق إلى المطار.

فقال دكتور هويتاكر بدهشة: كنت أعتقد أن المؤتمر سيُعقد اليوم!

- لا، إن موعده غداً، التاسع عشر.

ثم اندفع الكاهن نحو الباب وصديقه يتابعه بنظراته قائلاً:

ولكن اليوم هو التاسع عشر يا صديقي العزيز!

ولكن الكاهن كان قد ابتعد فلم يسمع الكلمات الأخيرة، واستقلّ سيارة إلى المطار، ثم تقدّم إلى المكتب المختصّ بتذكرة الطائرة وجواز السفر ليكتشف أن اليوم هو التاسع عشر وأن تذكرته على الطائرة التي أقلعت في اليوم السابق وأن المؤتمر عُقد في صباح ذلك اليوم ولا فائدة من تغيير تذكرة الطائرة، فهمس الكاهن لنفسه بأسى قائلاً: يا لها من مشكلة تلك التي تسببت فيها!

وسار حزيناً إلى شارع كروميل وهو يحمل حقيبته الصغيرة وعقله مشوّش، ثم بدأ يحدّث نفسه قائلاً: ماذا أفعل الآن وقد تجاوزت الساعة التاسعة؟ أعتقد أنه من الأفضل لي أن أبحث عن شيء آكله.

ولكنه أبدى دهشته لأنه لا يشعر بالجوع، ثم انتهى به المطاف إلى مطعم صغير يقدّم المأكولات الهندية فطلب طبقاً من الكاري، ثم أخذ ينظر إلى الطبق وهو شارد العقل يفكر في المكان الذي سوف يذهب إليه بعد ذلك. لا بدّ له من البحث عن فندق يقضي فيه الليل، ولكنه تذكّر أنه قد حجز غرفة في برترام فعلاً. يا له من إنسان محظوظ! فهو لا يحتاج إلى أكثر من التوجّه إلى مكتب الاستقبال ليأخذ مفتاح الحجرة. ثم وضع يده في جيبه ليُخرج شيئاً ثقيلاً اكتشف أنه مفتاح الحجرة، ورغم أن بعض الفنادق تحرص على أن تكون مفاتيح الغرف كبيرة وثقيلة حتى لا يحملها النزلاء معهم فقد نسي الكاهن فحمل المفتاح معه، فابتسم وهو يحدّث نفسه قائلاً: أنا محظوظ حقاً، فجميع الفنادق مشغولة الآن.

نهض الكاهن تاركاً الطعام الذي طلبه ولكنه لم ينسَ أن يدفع الحساب، وفكّر في أن الوقت لا يزال مبكراً للعودة إلى الفندق، ثم وجد نفسه أمام إحدى دور العرض فقرأ الإعلان عن الفِلم المعروض وهو «أسوار أريحا»، فجذبه اسم الفِلم ووجد أنها فرصة طيّبة ليرى إلى أي حدّ تلتزم أحداثه بالقصة الأصلية، ثم اكتشف أن الرواية السينمائية لا تمتّ بأي صِلة إلى الأصل ولكنه استمتع بمشاهدة الفِلم، ثم خرج من دار العرض مبتهجاً في حين كان الجوّ رائعاً في الخارج.

وكان الليل قد انتصف عندما وصل الكاهن إلى الفندق الذي أُطفئت معظم أنواره فبدا متّشحاً بظلال خفيفة من الأضواء بعد أن أوى جميع النزلاء إلى مضاجعهم. وكان المصعد في الطابق الأول، ولذا صعد الكاهن الدرَج حتى وصل إلى حجرته، ثم وضع المفتاح في ثقب الباب وأداره فُفتح الباب ودخل، ولكن ما هذا الذي يراه؟ هل بدأ يتخيّل أشياء غريبة؟ ولكن مَن وكيف؟ ثم رأى يداً ترتفع في الهواء، وبعد ذلك بدأت النجوم تتراقص أمام عينيه.

* * *

كان قطار البريد الأيرلندي يشقّ طريقه في الليل بسرعة مئة وثمانية وعشرين كيلومتراً في الساعة، وكانت صفارته تصفر بين الحين والحين قبل أن يهدّئ من سرعته، ثم بدأ يخفّف من سرعته رويداً رويداً حتى توقّف تماماً، فاستيقظ بعض الركاب، كما أفزع التوقّف المفاجئ للقطار إحدى السيدات المسنّات، ففتحت الباب لتستطلع الأمر فوجدت أن بعض أبواب المقصورات الأخرى مفتوحة، كما شاهدت قساً أشيب

الشعر يصعد إلى عربة القطار، وكانت قد تخيّلت أنه هبط قبل ذلك ليستطلع الأمر. وكانت نسمات الفجر شديدة البرودة فقال شخص في الممرّ بأنها مجرّد إشارة، فدخلت العجوز إلى مقصورتها لتحاول النوم من جديد.

ثم اقترب رجل من الاتجاه المضادّ حاملاً مصباحاً، كما هبط مساعد السائق من القاطرة وانضمّ إليه حارس القطار، واقترب حامل المصباح ثم قال وهو يلهث: لقد وقع تصادم وخرج قطار البضاعة عن الخطّ.

فأطلّ السائق من نافذة القطار فرأى ستة رجال يصعدون إلى العربة الأخيرة، كما رأى ستة ركّاب قد خرجوا من مختلف العربات ليلتقوا بهم، وبسرعة مذهلة قاموا بفصل عربة البريد عن القطار، ثم وقف رجلان مسلّحان عند أول العربة وآخرها، وبعد ذلك تقدّم رجل يرتدي الزيّ الرسمي لرجال السكك الحديدية نحو بقيّة عربات القطار ليشرح لهم الأمر قائلاً: إن الطريق مسدود أمامنا، ولن يستغرق الإصلاح أكثر من عشر دقائق.

وفي تلك اللحظة كان سائق القطار ومساعده راقدَين على الأرض مقيّدَين ومكمّمَين، كما كان الحارس يرقد بجوار القطار مقيّداً ومكمّماً، وقد استطاع اللصوص الخبراء إتمام عملهم بنجاح في عربة البريد، فنُقلت بعض أكياس البريد الخاصة إلى حيث تسلّمتها مجموعة أخرى من الرجال على الأرض. وبدأ بعض الركاب يتذمرون من سوء حالة القطارات في تلك الأيام عندما بدّد سكون الليل صوت محرّك صاخب، كما صاحت سيدة قائلة: يا إلهي! أهذه طائرة؟

فأجابها آخر قائلاً: أعتقد أنها سيارة سباق.

ولكن سرعان ما ابتعد صوت المحرّك. وعلى طريق السيارات المؤدّي إلى بدهامبتون، على بُعد أربعة عشر كيلومتراً، كان يوجد سيل من سيارات النقل يتدفّق عندما مرّت بهم سيارة سباق ضخمة بيضاء اللون بسرعة البرق، ثم انحرفت سيارة السباق عن الطريق وتمّ تغيير لوحة أرقامها في مرأب يقع على طريق فرعي، كما غيّر قائد السيارة سُترته البيضاء وارتدى سُترة من الجلد الأسود، ثم استأنف قيادة سيارته. وبعد ثلاث دقائق ظهرت سيارة موريس أُكسفورد يقودها أحد القساوسة، عجوز أشيب الشعر، وقد أخذ يسلك بعض الطرق الريفية في خطوط متعرّجة، ثم ظهرت سيارة استيشن واغون من إحدى الطرق الفرعية وأبطأت سرعتها حتى توقّفت بجانب السيارة الموريس، فقال سائق السيارة الأولى: هل تواجه بعض المتاعب؟ هل من مساعدة أستطيع أن أقدّمها لك؟

- هذا لطف زائد منك، إنها كشافات السيارة فقط.

اقترب كل من السائقَين نحو الآخر وأرهفا أذنيهما، ثم انتقلت مجموعة من مختلف الحقائب الأمريكية من السيارة الموريس إلى الأخرى بسرعة، وعلى بُعد مسافة ثلاثة كيلومترات انحرفت السيارة الاستيشن إلى طريق وعر ينتهي عند حظيرة خلف أحد البيوت ثم وقفت، وبعد برهة ظهرت سيارة مرسيدس، ففتح سائق الاستيشن حقيبة سيارته ونقل الحقائب إلى السيارة الأخرى ثم عاد إلى سيارته، وعندئذ صاح ديك في مزرعة قريبة.

* * *

رفعت إيلفيرا بليك عينيها نحو السماء ولاحظت أن الجوّ بديع ذلك الصباح، فتوجّهت نحو كشك الهاتف وطلبت رقم بريدجيت، وبعد برهة جاءها صوت صديقتها من الطرف الآخر معبّراً عن قلقها، فسألتها إيلفيرا عمّا إذا كانت الأمور قد سارت على ما يرام، فقالت بريدجيت باضطراب: لا، لقد طلبتك ابنة العم ميلدريد بعد ظُهر أمس فردّت أمّي عليها.

- ماذا تقولين؟! هل كانت تسأل عنّي؟

- نعم، لقد نفّذت تعليماتك، ولكن يبدو أن القلق ساورها وأرادت أن تطمئن على أسنانك فاتصلت بك هنا، ولسوء الحظّ كانت أمي أقرب منّي إلى الهاتف، فقالت أمي إنها لا تعرف شيئاً عن الموضوع وإنك لست معنا، ولم أدرِ ماذا أفعل.

- وكيف تصرّفت؟

- تظاهرت بأنني لا أعرف شيئاً، ثم خطر ببالي أن أقول إنك ذهبت لمقابلة بعض الأصدقاء في ويمبلدون.

- ولماذا ويمبلدون؟ حسناً، سوف أخترع قصّة. لقد ذهبت لزيارة مربّيتي العجوز المريضة التي تقيم في ويمبلدون. أرجو أن لا تتصل بنت العم ميلدريد بالشرطة.

- هل ستعودين الآن؟

- ليس قبل حلول المساء؛ فلا تزال أمامي بعض المهام.

- هل سارت الأمور على ما يرام في أيرلندا؟

- لقد عثرت على الشيء الذي كنت أبحث عنه.

- ألا أستطيع أن أساعدك بطريقة ما؟

- نعم، لا أحد يستطيع أن يساعدني لأنه أمر لا بدّ أن أقوم به أنا بنفسي، موضوع كنت أرجو أن لا يكون صحيحاً، ولكنني تأكّدت من أنه صحيح، ولا أدري ماذا أفعل.

- هل أنت في خطر يا إيلفيرا؟

- لا يا بريدجيت، سوف أكون حذرة على أي حال.

- وكيف ستتصرّفين بالنسبة إلى موضوع السوار؟

- سوف أدبّر بعض النقود لأستردّ السوار وأعيده.

ثم بدا صوت بريدجيت مضطرباً وهي تقول: لا يا أمّي، إنها المغسلة. يقولون إن الأغطية لم تصلهم. نعم، نعم، سوف أتحدّث إلى المديرة. حسناً، إذن.

ثم أعادت بريدجيت السمّاعة إلى مكانها. وأدارت إيلفيرا قرص الهاتف لتطلب رقماً جديداً، فاتصلت بابنة العم ميلدريد لتخبرها بأنها اضطرّت إلى زيارة مربّيتها العجوز المريضة وأنها لم تستطع أن تتركها حتى تجيء الممرّضة، ثم وضعت إيلفيرا السمّاعة وهي تقول لنفسها: لماذا يُضطرّ الإنسان إلى اختراع كل هذه السلسلة من الأكاذيب؟

غادرت إيلفيرا كشك الهاتف لتقرأ عناوين الصحف المعروضة التي تقول بالخطّ الكبير: «سرقة كبرى، عصابة تهاجم قطار البريد الأيرلندي».

* * *

فُتح باب المحلّ وفوجئ السيد بولارد بدخول إيلفيرا بليك التي بادرته بتحية الصباح، فقال السيد بولارد: لم يتمّ إصلاح الساعة بعدُ يا آنسة إيلفيرا.

- لم آتِ بشأن الساعة، وإنما جئت أعتذر عن حدوث أمر فظيع.

ثم قصّت عليه كيف أنها وضعت سواراً مرصعاً بالألماس في جيبها دون قصد في غمرة اضطرابها عندما كادت إحدى الفتيات تلقى مصرعها تحت عجلات سيارة أمام المحلّ، ثم ختمت الحديث بقولها: هل ظننت أن أحداً سرق السوار؟

- لقد اكتشفنا عدم وجوده، وشكراً لك على إعادته بسرعة يا آنسة إيلفيرا.

- أكرّر أسفي لما حدث يا سيد بولارد.

- مثل هذه الأخطاء الغريبة تحدث للإنسان كثيراً.

ثم ابتسم ابتسامة عريضة وهو يقول: سوف ننسى الأمر تماماً، ولكن لا تفعلي ذلك مرّة أخرى.

- لا، سوف أكون شديدة الحذر في المستقبل.

وبعد انصرافها قال السيد بولارد لنفسه بصوت هامس: عجباً!

فاقترب منه أحد شركائه قائلاً: لقد سرقت السوار، وهذه هي الحقيقة.

- أجل، ولكنها أعادته، ولم أكُن أتوقع منها ذلك!

فقال الشريك: هل تعتقد أن قصّتها صحيحة؟ أعني أنها وضعت السوار في جيبها دون قصد في لحظة اضطرابها.

- هذا محتمَل.

- أليس من المحتمل أن تكون مصابة بجنون السرقة؟

- بلى، هذا جائز أيضاً، ولكن الأرجح أنها أخذته متعمّدة، ولكن لماذا تعيده بهذه السرعة؟! هذا أمر غريب.

- من حسن الحظ أننا لم نبلِغ الشرطة، وأعترف بأنني كنت أرغب في اتخاذ هذا الإجراء.

- أعرف، لأنه ليس لديك مثل خبرتي. في مثل هذه الحالة يكون من الأفضل عدم إبلاغ الشرطة. عجباً! كم عمرها؟ سبعة عشر أم ثمانية عشر عاماً؟

- لا بدّ أنها تورّطت في موضوع شائك، ولكنني سمعتك تقول إنها تمتلك ثروة ضخمة.

- هي وارثة لثروة طائلة، ولكنها ما زالت في سن السابعة عشرة ولا تستطيع أن تضع يدها عليها. إن المضحك في الأمر أنهم يتركون جيوب الورثة خاوية. أعتقد أننا لن نعرف الحقيقة.

وأعاد السيد بولارد السوار إلى مكانه في صندوق المعروضات ثم وضع الغطاء.

* * *

الفصل السادس

يقع مكتب إيغرتون وفوريس وويلبر للاستشارات القانونية في مبنى عتيق في ملومسبري، وعندما اتصل الكاتب هاتفياً بالسيد ريتشارد إيغرتون ليخبره بأن شابة تُدعى إيلفيرا بليك ترغب في مقابلته طلب أن يُدخلها بعد أن يفرغ من العميل الذي معه. وقد اعتقد أن الآنسة إيلفيرا في الخامسة عشرة أو السابعة عشرة من عمرها، ثم همس لنفسه قائلاً: لقد مرّت الأعوام بسرعة وكبرت ابنة كونيستون وبيس! تُرى عن أيّ والدَيها أخذت طباعها؟

وبمجرّد أن فرغ السيد ريتشارد من العمل سمح لإيلفيرا بالدخول، وقد استقبلها بالترحاب قائلاً: حسناً، هذه مفاجأة! لقد كنتِ في الحادية عشرة عندما رأيتك آخر مرّة. تعالَي واجلسي بالقرب منّي.

قالت إيلفيرا بشيء من الارتباك بعد جلوسها: أعتقد أنه كان ينبغي أن أكتب إليك أولاً أو أحصل على موعد، ولكنني انتهزت فرصة وجودي في لندن وفكّرت في زيارتك.

- ماذا تفعلين في لندن؟

- جئت لعلاج أسناني.

- الأسنان دائماً مصدر متاعب للإنسان من المهد إلى اللحد، ولكنني شاكر لأسنانك التي أعطتك الفرصة لزيارتي. دعيني أتذكر الآن. ألم تكوني في إيطاليا للدراسة في واحد من تلك الأماكن التي تقصدها جميع الفتيات في هذه الأيام؟

- بلى، عند الكونتيسة مارتينيللي، ولكنني أنهيت تلك المرحلة وأعيش الآن مع أسرة ميلفورد في كينت إلى أن يستقرّ رأيي على الخطوة التالية.

- أرجو أن تجدي الشيء المناسب. ألا تفكرين في الالتحاق بالجامعة؟

- نعم، لا أفكّر في ذلك؛ فأنا لست على الدرجة الكافية من الذكاء لمتابعة الدراسة الجامعية.

ثم تردّدت إيلفيرا برهة قبل أن تقول: أعتقد أنه لا بدّ أن أحصل على موافقتك قبل أن أُقدِم على خطوة كهذه.

فلمعت عينا إيغرتون وهو يركز نظراته على وجهها ثم قال: أنا واحد من الأوصياء عليك والمنفّذ لوصية أبيك، لهذا من حقّك الاتصال بي في أي وقت تشائين.

فقالت إيلفيرا بأدب: شكراً لك.

- هل تواجهين بعض المشكلات؟

- في الحقيقة لا، ولكنني لا أعرف شيئاً ولم يخبرني أحد بشيء.

- أتعنين الأشياء التي تتعلق بك؟

- نعم، لطيف منك أن تقدّر موقفي، ولكن العم ديريك...

وعندما تردّدت الفتاة في الكلام قال إيغرتون: أتعنين ديريك لاسكومب؟

- نعم، فقد كنت أناديه عمّي دائماً. إنه إنسان مهذّب للغاية، ولكنه ليس الشخص الذي يقول لك شيئاً، وهو يستمع إلى ما يقوله الكثيرون، أقصد السيدات اللائي ينقلن إليه الأقاويل، مثل الكونتيسة مارتينيللي، وهو الذي يختار لي المدارس التي ألتحق بها.

- وهي ليست المدارس التي ترغبين في الالتحاق بها، أليس كذلك؟

- نعم، ليس هذا ما أقصده، أعني أنها المدارس التي يلتحق بها الجميع، ولكنني أريد أن أعرف أي شيء عن نفسي، أقصد عن المال الذي يخصّني، فكم يبلغ هذا المال؟ وما الذي أستطيع أن أفعله به إذا رغبت؟

فقال إيغرتون باسماً: أهذا ما ترغبين في معرفته؟ أنت محقّة تماماً. والآن اسمحي لي أن أسألك عن عمرك؟ ستة عشر عاماً أم سبعة عشر عاماً؟

- أنا أوشك أن أبلغ العشرين.

- يا إلهي! لم تكُن لدي فكرة.

- أشعر أنني محاطة برعاية وحماية زائدة، ربما كان هذا مقبولاً من ناحية ولكنه أمر يثير الأعصاب.

فقال إيغرتون مؤمّناً: هذا نوع من أساليب التربية القديمة، وهو يناسب ديريك لاسكومب.

- هو إنسان لطيف ولكنه صعب للغاية. أعرف أن أبي مات عندما كنت في الخامسة، كما أعرف أن أمّي هجرته لتفرّ مع رجل آخر وأنا في الثانية من عمري. أنا لا أتذكّرها مطلقاً ولا أكاد أتذكّر أبي كذلك؛ فقد كان طاعناً في السنّ عصبياً، وكنت أخافه. وبعد موت أبي أقمت مع عمّة أو ابنة عمّ لأبي، وبعد موتها أقمت مع العمّ ديريك وأخته، وعندما ماتت أخته ذهبت إلى إيطاليا، وكان العمّ ديريك هو الذي اختار لي المكان، وفي هذه الأيام اختار لي العمّ ديريك أن أعيش مع عائلة ميلفورد، وهم أبناء عمومته وهم غاية في الرقة ولديهم ابنتان في مثل سنّي.

- هل أنت سعيدة هناك؟

- أنا لم أبدأ حياتي معهم بعد. في الواقع أنا أريد أن أعرف مقدار ثروتي.

وبدا إيغرتون جاداً وهو يقول: سوف تحصلين على قدر كبير من المال. لقد كان أبوك رجلاً واسع الثراء وأنت ابنته الوحيدة، وعندما مات ترك اللقب والضيعة لابن أخ له ثم أوصى لك بكل أمواله، وبهذا فأنت فتاة ثرية، أو سوف تكونين عندما تبلغين سنّ الرشد.

- هل تقصد أنني لست غنية الآن؟

- بل أنت غنية الآن، إلا أن المال لن يوضع بين يديك قبل بلوغ سنّ الحادية والعشرين أو الزواج، وحتى ذلك الحين يبقى المال مع الأوصياء وهم لاسكومب وأنا وشخص ثالث. ثقي في

أننا لم نختلس المال، بل على العكس استثمرناه لصالحك.

- كم تبلغ الثروة التي سأحصل عليها؟

- عند بلوغك سنّ الرشد أو الزواج ستحصلين على مبلغ يتراوح بين ستمئة ألف وسبعمئة ألف جنيه.

فقالت إيلفيرا بانفعال: هذا مبلغ ضخم!

- أجل، وربما لم يحاول أحد أن يحدّثك عنه بسبب ضخامته.

وكان إيغرتون يراقب انفعالاتها باهتمام ثم قال لها: هل يرضيك هذا؟

- يجب أن يرضيني. ألا ترى ذلك؟

وتردّدت إيلفيرا برهة ثم قالت: مَن الذي سيستفيد من المال في حالة وفاتي؟

- حسب الظروف القائمة فإن الثروة ستذهب إلى أقرب الأقرباء.

- أعني، أليس في استطاعتي أن أكتب وصية الآن؟ لقد قال لي البعض إنه لا يحق لي ذلك قبل بلوغ سنّ الرشد.

- هذا صحيح تماماً.

- هذا أمر مثير للاستياء، لو أنني متّ وأنا متزوّجة أعتقد أن زوجي هو الذي سيحصل على المال، أليس هذا صحيحاً؟

- بلى، هذا صحيح.

- وإذا لم أكُن متزوّجة تكون أمّي هي المستحقة للميراث،

ولكنني لا أكاد أعرف أمّي. كيف تبدو؟

فقال إيغرتون باقتضاب: إنها سيدة متميزة للغاية.

- ألم ترغب في رؤيتي قطّ؟

- ربما راودتها الرغبة في ذلك، وهذا محتمل جداً، ولكن نظراً لأنها جعلت من حياتها سلسلة من المشكلات فقد رأت أنه من الخير لك أن تكون بعيدة عنك.

- أنا شاكرة لك لأنك زوّدتني بكل هذه المعلومات.

- أعتقد أنه كان من الأفضل أن تعرفي ذلك في وقت مبكّر.

- إنه أمر مهين أن يظلّ الإنسان جاهلاً بمثل هذه الأمور، ولكن العم ديريك يعتقد أنني لا أزال طفلة. ألا ترى ذلك أنت أيضاً؟

قالت ذلك ومدّت له يدها وهي تقول: شكراً جزيلاً لك، وأرجو أن لا أكون قد شغلتك عن الأعمال المهمّة.

وظلّ إيغرتون يحملق إلى الباب الذي أغلقته إيلفيرا بعد خروجها، ثم رفع سمّاعة الهاتف وطلب من سكرتيرته أن تطلب له الكولونيل لاسكومب، وعندما سمع صوت الكولونيل على الطرف الآخر قال له: كيف حالك يا ديريك؟ لقد كان عندي منذ لحظات شخص تعرفه، فتاة تحت وصايتك.

فقال ديريك بدهشة: إيلفيرا؟!

- نعم.

- ولكن ما سبب زيارتها لك؟ هل وقعت في مأزق؟

- لا، بل كانت تبدو معتزة بنفسها، وكانت تريد أن تعرف موقفها المالي.

- أرجو أن لا تكون قد أخبرتها.

- وما فائدة الكتمان؟

- لأنه ليس من الحكمة أن تعرف فتاة في مثل سنّها أنها سترث ثروة ضخمة كهذه.

- كانت ستعرف من شخص آخر لو أننا لم نخبرها. يجب أن نعدّها للمستقبل، فالمال مسؤولية.

- أجل، ولكنها لا تزال طفلة.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- ماذا تقصد؟ بالتأكيد لا تزال طفلة.

- أنا لا أوافقك على هذا الرأي. مَن صديقها؟ أليس لها صديق؟

- نعم، ليس لها صديق، ولكن ما الذي يدفعك إلى التفكير في ذلك؟

- هي لم تقُل لي شيئاً، ولكنني خبير بمثل هذه الأمور.

- أؤكد لك أن إيلفيرا تعيش في ظلّ رعاية تامة صارمة، وأنها قد دخلت أكثر المدارس تشدداً في المعاملة.

- ولكن تشخيصي يوحي إليّ بأن لها صديقاً، ومن

المحتمل أن يكون غير مناسب لها.

- أؤكد لك أنها تعيش في ظل رعاية تامة.

- أنصحك بأن تكون أكثر انتباهاً يا ديريك، وعليك أن تقوم ببعض التحرّيات لتعرف ما تفعله الفتاة.

- هذا هراء، إنها مجرّد طفلة ساذجة.

- أنت لا تعرف الكثير عن الفتيات الصغيرات، ولا تنسَ أن أمّها هربت مع عشيقها في وقت كانت فيه أصغر سناً منها. هل نسيت؟ كما أن كونيستون العجوز كان من أسوأ رجال إنكلترا.

- أنت تقلقني يا ريتشارد.

- لقد حذّرتك. كما أنني لم أشعر بالارتياح لسؤال آخر وجّهته إليّ، لماذا تلحّ على السؤال عن الشخص الذي يرثها في حالة وفاتها؟

- هذا أمر غريب حقاً! لقد سألتني نفس السؤال.

- أحقاً؟! وكذلك سألتني عن أمّها.

ثم بدا صوت الكولونيل مضطرباً وهو يقول: كم أرغب في أن تلتقي بيس بابنتها.

- هل حدّثت بيس عن هذا الموضوع؟

- نعم، فعلت، فقد التقيت بها مصادفة حيث تقيم في نفس الفندق، وقد طلبت منها مقابلة ابنتها.

فسأله إيغرتون بفضول: وماذا كان ردّها؟

- رفضت الفكرة تماماً وقالت إن معرفة ابنتها لها تعرّضها للخطر.

- سمعت أنها على علاقة بذلك الشاب الذي يقود سيارات السباق.

- وهل سمعت ذلك فقط؟

- لا، لقد سمعت بعض الشائعات أيضاً، ولكنني لا أعرف مدى صحّتها. ربما كان ذلك الشاب هو السبب، ولكن أي نوع من النساء هي يا ديريك؟

- إنها أشدّ أعداء نفسها.

- حسناً، أنا آسف لأنني أزعجتك يا ديريك، وأرجو أن تبحث عن الأشخاص غير المرغوب فيهم ممن يحومون حول الفتاة في الخفاء، ولا تقُل بعد هذا إنني لم أنبّهك.

* * *

الفصل السابع

أعدّت السيدة ماك كراي مدبّرة منزل الكاهن بنيفاذر ألوان الطعام التي يحبّها في العشاء، وكان من المفترض أن يصل الكاهن في الساعة السادسة والنصف، وبدأت السيدة ماك كراي تشعر بالقلق بعد مرور ساعة على ذلك الوقت، وعندما بلغت الساعة الثامنة بدأت تنظر إلى جهاز الهاتف في انتظار مكالمة القس ليشرح أسباب تأخّره، ولما كانت السيدة ماك كراي تنام في العاشرة والنصف فقد استقرّ رأيها على أن تنتظر الكاهن حتى العاشرة وبعدها تغلق الباب وتذهب إلى سريرها.

وهي لم تكُن قلقة على الكاهن بدرجة كبيرة لأنها تعوّدت منه ارتكاب سلسلة من الأخطاء، كركوب القطار الخطأ أو النزول في غير المحطة التي يقصدها أو الذهاب مع صديق التقى به ليقضي معه بقية الأسبوع، أما الأمر الذي كان يقلقها بحق فهو أن رئيس الشمامسة، سيمونز، كان قادماً بعد غد ليقيم مع صديقه بنيفاذر بعض الوقت، وهو أمر لا يمكن أن ينساه الكاهن، ولا بدّ له أن يرسل برقية أو رسالة على الأقلّ.

لم يصل الكاهن حتى صباح اليوم التالي، فبدأت السيدة ماك كراي تشعر بقلق حقيقي، وظلت ترمق الهاتف مفكّرة في

إجراء اتصال هاتفي، وعندما انقضى يوم آخر دون أن تسمع شيئاً عن الكاهن قرّرت التحرّك والاتصال بفندق برترام الذي ينزل فيه الكاهن كلما ذهب إلى لندن. وكانت تعرف الآنسة غورنغ فرفعت سمّاعة الهاتف وطلبت الفندق، وعندما ردّت عليها الآنسة غورنغ قالت لها مدبّرة المنزل: أنا السيدة ماك كراي مدبّرة منزل الكاهن بنيفاذر.

فقالت لها الآنسة غورنغ: هل من خدمة أستطيع أن أقدّمها لك يا سيدة ماك كراي؟

- هل لا يزال الكاهن بنيفاذر مقيماً في الفندق؟

- أنا سعيدة لأنك أجريت هذا الاتصال لأننا كنا قلقين ولا ندري ماذا نفعل.

- هل تقصدين أن شيئاً ما وقع للكاهن بنيفاذر؟ هل تعرّض لحادث؟

- لا، ولكننا كنا نتوقع عودته من لوسرن يوم الجمعة أو السبت.

- أجل، هذا صحيح.

- ولكنه لم يعُد، ولم يدهشنا ذلك بالتأكيد؛ فقد حجز الكاهن حجرته حتى أمس، ولكنه لم يعُد أمس أو يرسل إلينا كلمة بشأن الأشياء التي تركها. لقد ترك معظم حقائبه فأصبحنا في حيرة بشأنها. حسناً، نحن نعرف أن الكاهن كثير النسيان.

- أجل، هو كذلك.

- وهذا يجعل مهمتنا صعبة لأن جميع حجراتنا مشغولة

وغرفته محجوزة لنزيل آخر. أليست لديك فكرة عن مكانه الآن؟

فقالت السيدة ماك كراي بمرارة: قد يكون الرجل في أي مكان. حسناً، شكراً لك يا آنسة غورنغ.

أنهت السيدة ماك كراي المكالمة وجلست بجوار الهاتف مهمومة. لم تكُن قلقة على سلامة الكاهن لأن مثل ذلك الطراز من الرجال الكثيري النسيان ترعاهم العناية الإلهية، ولم تتصوّر أن يكون الكاهن راقداً في أحد المستشفيات، ثم حاولت أن تقنع نفسها بأنه ذهب مع صديق أو أنه قد يكون في الخارج حتى تلك اللحظة. لكن المشكلة أن سيمونز سوف يصل مساء تلك الليلة، وهي لا تدري ماذا تقول له عندما لا يكون صاحب الدار في استقباله، ثم استقرّ رأيها أن تترك الأمر لسيمونز.

وكان سيمونز من طراز مختلف تماماً عن بنيفاذر، فقد كان رجل دين واثقاً من نفسه يعرف جيداً ما يجب عليه أن يفعله، وعندما وصل رئيس الشمامسة وأخبرته السيدة ماك كراي بالقصة لم يضطرب، ثم قال لها بهدوء: لا تقلقي يا سيدة ماك كراي، سوف نقتفي أثر الرجل الغائب الذهن.

ثم رفع سيمونز سمّاعة الهاتف وبدأ أول اتصال بشقيقة الكاهن التي اتضح أنها لا تعرف شيئاً عن تحرّكاته، فوسّع دائرة الاتصالات حيث اتصل بفندق برترام وحصل على تفصيلات أكثر، فعلم أن الكاهن كان قد غادر الفندق في وقت مبكّر من مساء التاسع عشر حاملاً حقيبة صغيرة تاركاً معظم متاعه في غرفته، ثم ذكر أنه متوجّه إلى اجتماع في لوسرن، ولكنه لم يتوجّه

مباشرة إلى المطار حيث سمعه المنادي يطلب من سائق سيارة الأجرة أن يذهب به إلى نادي أثينيوم، وكانت تلك آخر مرّة يراه فيها أحد من الفندق. ويوجد شيء آخر، وهو أنه لم يترك مفتاح غرفته وإنما حمله معه، ولم تكُن تلك هي المرّة الأولى.

انتظر سيمونز بضع دقائق قبل أن يبدأ اتصاله الثالث، ثم اتصل بالدكتور ويسرغارتن الذي كان يعلم أنه سوف يحضر مؤتمر لوسرن، وما إن سأله سيمونز عما إذا كان قد حضر المؤتمر حتى بدأ يروي له ما حدث في المؤتمر ويوجّه النقد إلى بعض البحوث غير الأكاديمية، فخشي سيمونز أن يستمرّ ويسرغارتن في حديثه الذي لا ينتهي فقاطعه قائلاً: هل التقيت بالكاهن بنيفاذر؟

- بنيفاذر؟ كان من المفترض أن يحضر المؤتمر ولكنني لا أعرف سبب تخلّفه. لقد التقينا منذ أسبوع فأكّد لي على أنه سوف يحضر المؤتمر.

- هل تعني بذلك أنه لم يحضر المؤتمر؟

- هذا ما قلته، وكان ينبغي أن يكون موجوداً.

- هل تعرف سبب تخلّفه؟ ألم يرسل اعتذاراً؟

- وكيف لي أن أعرف؟ لقد أكّد على أنه سيحضر. آه! تذكرت الآن، لقد تنبّه البعض إلى غيابه وقالوا إنه قد يكون مُصاباً بنزلة برد. أنت تعرف أن الجوّ فظيع الآن.

فقطع سيمونز الاتصال قبل أن يعود محدّثه إلى توجيه النقد إلى أعضاء المؤتمر. لقد توصل إلى معرفة حقيقة زادت من

مخاوفه، وهي أن بنيفاذر لم يذهب إلى المؤتمر. ثم أخذ سيمونز يفكر في احتمال أن يكون قد استقلّ طائرة أخرى، أو لعلّه نسي موعد انعقاد المؤتمر، ولكن إلى أين ذهب؟

ثم اتصل بعد ذلك بمكتب شركة الطيران في المطار فعلم أن الكاهن حجز على الطائرة التي تقلع في الساعة التاسعة وأربعين دقيقة من مساء يوم الثامن عشر إلا أنه لم يكُن بين ركّاب الطائرة، فقال سيمونز مطَمئناً السيدة ماك كراي التي تحوم حوله: نحن نحرز تقدّماً، والآن دعيني أفكّر فيمن ينبغي أن أتصل به بعد ذلك.

- سوف تكلّف هذه الاتصالات مبلغاً كبيراً من المال.

- أجل، ولكن لا بدّ من اقتفاء أثره. إنه ليس شاباً صغيراً.

- هل تعتقد أنه قد أصابه مكروه يا سيدي؟

- أرجو أن لا يكون قد أصابه مكروه، ولكن لو أن شيئاً حدث له لسمعنا بالحادث. ألا يحمل معه اسمه وعنوانه؟

- بلى، إنه يحمل بطاقته، وفي محفظة نقوده ما يثبت شخصيته.

فقال سيمونز وهو يفكّر: لا أظن أننا بحاجة إلى الاتصال بالمستشفيات. لقد قال بنيفاذر عند مغادرته الفندق إنه ذاهب إلى الأثينيوم، سوف أتصل بالنادي.

واستطاع سيمونز بعد إجراء ذلك الاتصال أن يحصل على معلومات تؤكّد أن الكاهن بنيفاذر المعروف جيّداً قد تناول في النادي عشاءه في السابعة والنصف من مساء يوم التاسع عشر،

وتذكّر سيمون أن الكاهن حجز تذكرته على طائرة يوم الثامن عشر فبدأت الأمور تتضح بعض الشيء، ثم همس سيمونز لنفسه قائلاً: لقد أخطأ الحمار في الموعد.

ثم قال للسيدة ماك كراي: لقد أخطأ في تاريخ السفر.

وفكر سيمونز في الخطوة التالية واحتمال أنه توجّه إلى مطار كنسنغتون بعد أن تناول عشاءه، وهناك أدرك أن الطائرة التي حجز عليها أقلعت في اليوم السابق وأن المؤتمر قد انعقد بالفعل، ثم شرح للسيدة ماك كراي وجهة نظره ثم قال: صدّقيني، هذا ما حدث.

- ولكن ماذا فعل بعد ذلك؟

- لا بدّ أنه عاد إلى الفندق؛ إذ لم يكُن في استطاعته أن يعود إلى هنا مباشرة، أعني أن يتّجه إلى محطّة القطار.

- بالتأكيد، فهو لم يكُن ليترك حقائبه في الفندق، ولكن كان لا بدّ له من الاتصال بالفندق.

- تماماً، تعالَي نتصوّر الأمر على هذا النحو. لقد غادر المطار وهو يحمل حقيبة صغيرة، ثم ذهب إلى الفندق، أو بدأ في الذهاب إليه، ولكنه لم يصل إليه.

وسكت سيمونز برهة ثم قال: هل من المحتمَل أنه وصل إلى الفندق بالفعل ولكن لم يشاهده أحد هناك؟ فما الذي حدث له في الطريق إذن؟

قالت السيدة ماك كراي بارتياب: ربما التقى بأحد أصحابه.

- هذا محتمَل، وربما ذهب مع الصديق إلى فندقه أو منزله، ولكن من المستبعد أن يبقى ثلاثة أيام، لا يمكن أن ينسى حقائبه المتروكة في الفندق لمدّة ثلاثة أيام كاملة! لا بدّ أنه كان سيتّصل بالفندق أو يطلب إرسال متاعه أو يعود إلى بيته إذا انتابته نوبة نسيان تام، أما ثلاثة أيام من الصمت فهذا أمر غير مفهوم.

- إذن فقد تعرّض لحادث.

- أتقولين إنه كان يحمل الأوراق التي تثبت شخصيته؟ أعتقد أنه لا يوجد أمامنا سوى حلّ واحد.

فنظرت إليه السيدة ماك كراي بترقّب فقال سيمونز: ليس أمامنا سوى أن نبلِغ الشرطة.

* * *

لم تجد الآنسة ماربل صعوبة في الاستمتاع بفترة إقامتها في لندن وقضاء كثير من المهام التي كانت تعجز عن إنجازها في زيارتها الخاطفة السابقة، وقد اشترت دليلاً صغيراً يرشدها إلى أرقام السيارات العامة وخطوط سيرها، وكانت تتحاشى المنادي وقت خروجها من الفندق حتى لا يحرجها ويرغمها على ركوب سيارة أجرة، وبذا أُتيحت لها فرصة لزيارة الكثير من الأماكن التي زارتها في طفولتها لترى إلى أي مدى مسّتها يد التغيير، وقد راعها أن الكثير من المباني القديمة قد حلّت محلّها ناطحات السحاب.

وبعد ظهر أحد الأيام اختارت الآنسة ماربل أن تركب الحافلة إلى جسر بارتسي حتى تقضي بعض الوقت في حدائق

بارتسي، وكان عليها أن تسير مسافة طويلة بعد نزولها من الحافلة حتى تصل إلى الحدائق. وفي البداية سارت بنشاط حتى أدركها التعب، ثم رأت في نهاية الحدائق مقهى صغيراً فقرّرت أن تستريح فيه لتشرب قدحاً من الشاي.

حملت الآنسة ماربل صينية عليها قدح الشاي وقطعتان من الكعك، ثم جلست إلى مائدة خالية وبدأت تحتسي الشاي الساخن بنشوة، ثم أخذت تتلفّت حولها مستعرضة بنظرتها روّاد المقهى المعدودين، فرأت بعض الأمهات مع صغارهن وبعض المحبّين، ثم توقّف بصرها عندما وقع على إحدى الموائد وهي لا تكاد تصدّق المصادفة الغريبة، فقالت لنفسها: أولاً في مخازن الجيش والبحرية، ثم هنا ثانياً؟ أليست أماكن بالغة الغرابة تلك التي تختارها تلك السيدة وصديقها؟ لا، أنا مخطئة.

ثم أخرجت النظارة من حقيبتها فوضعتها على عينيها. لقد كانت مخطئة بالفعل رغم التشابه الكبير بين الوجهين والشعر، إلا أن تلك الفتاة أصغر من بيس بكثير، تلك هي الابنة مع نفس الشاب الذي رأته قبل ذلك مع الأم، بوجهه الذي يشبه الصقر وجسمه النحيل ووسامته التي تلفت الأنظار. ثم همست الآنسة ماربل لنفسها قائلة: هذا أمر سيئ من البداية إلى النهاية، وأنا لا أحب أن أرى مثل هذه الأشياء، مع الأم أولاً ثم مع الابنة الآن؟! ما معنى هذا؟

ثم خلعت الآنسة ماربل نظارتها ومسحت العدسات لتلقي نظرة أخرى على العاشقَين. لقد كانا يتحدّثان ووجهاهما متقاربان، وكان من الواضح أن الفتاة غارقة في حبّ الشاب إلى أذنيها وأنه هو المتحدّث وهي التي تستمع إليه. ثم سألت الآنسة

ماربل نفسها قائلة: أين الأوصياء عليها حتى تفلت من الرقابة وتسعى إلى مثل هذا اللقاء السرّي؟

إنها تعرف أن الفتاة قد تربّت خير تربية وأن سلوكها حميد، وربما كان قومها يظنونها في مكان آخر، وفي تلك الحالة تكون مضطرة إلى سرد الأكاذيب. وفي أثناء مغادرتها المقهى تعمّدت الآنسة ماربل المرور بالقرب من مائدة العاشقَين لتلتقط بعض الحديث الدائر بينهما، ولكنها لم تسمع شيئاً لأنهما كانا يتهامسان بصوت خافت، ثم خيّل إلى العجوز أن تلك الفتاة تخطّط للفرار مع ذلك الشاب وهي لا تزال قاصرة.

ولمحت الآنسة ماربل سيارة خاصة استرعت انتباهها في مكان انتظار السيارات، وكانت سيارة سباق أجنبية الصنع، فاقتربت منها لترى رقمها فوجدته فان ٢٢٦٦، فاتّضح لها أنها نفس السيارة التي شاهدتها بالقرب من الفندق. وقد شعرت الآنسة ماربل بالتعب مما جعلها تستوقف أول سيارة أجرة تمرّ بها، وكان قلبها مُثقلاً بالهموم وهي تفكّر في تلك الشابة الصغيرة. يجب أن تفعل شيئاً لها، ولكن ماذا في استطاعتها أن تفعل؟ ثم وقعت عيناها على بعض عناوين الصحف التي قالت: «تطوّرات مثيرة في حادث سرقة القطار، سائق القطار يروي القصّة».

فمطّت الآنسة ماربل شفتيها بازدراء وهي تحدّث نفسها قائلة: يبدو أن الجريمة تسمو على نفسها يوماً بعد يوم.

* * *

الفصل الثامن

توجّه كبير المفتّشين فريد ديفي إلى مبنى اسكتلنديارد والتقى بالمفتّش كامبل الذي استقبله باحترام شديد، ونظراً لحداثة سنّ كامبل فلم يكُن ينادي ديفي بالأب. قال كامبل: هل من خدمة أستطيع أن أؤدّيها لك يا سيدي؟

وفي بداية الأمر لم يفصح ديفي عمّا يشغل باله، ثم تطرّق الحديث إلى اختفاء الكاهن بنيفاذر المقيم في فندق برترام، وعندما عرف الأب أن كامبل ينوي زيارة الفندق لاستكمال التحقيق الذي بدأه السيرجنت واديل عرض أن يصحبه كمعاون له. وقد استقبلتهما الآنسة غورنغ بفتور؛ فقد كانت تظن أن التحقيق في الموضوع قد انتهى، ثم طلبت الآنسة غورنغ من المفتّش ومساعده الدخول إلى مكتب صغير داخلي، ثم بدأ المفتّش يوجّه أسئلته ويراجع الإجابات على تقرير واديل، وكلّما تدخّل ديفي ووجّه إليها سؤالاً كانت إما أن تتجاهله أو تجيب عليه ببرود، وفي النهاية لم يحصل المفتّشان على معلومات جديدة سوى أن اثنين من نزلاء الفندق لا يزالان موجودَين منذ وقت اختفاء الكاهن، وهذان النزيلان هما الجنرال الكهل رادلي وسيدة مسنّة تُدعى الآنسة جين ماربل. وأصرّ ديفي على التحدّث

معهما بالإضافة إلى الخادمة المسؤولة عن غرفة بنيفاذر.

وفي تلك اللحظة دخل السيد همفريس الحجرة فأخبرته الآنسة غورنغ أن السيدَين قادمان من اسكتلنديارد لاستكمال التحقيق في قضية اختفاء الكاهن بنيفاذر، فأبدى السيد همفريس استعداه لتقديم كل المعاونة المطلوبة، وعندما غادر المفتّش كامبل وديفي الحجرة متجهَين إلى قاعة الاستقبال لمقابلة الجنرال والسيدة العجوز قال همفريس: أنا لست قلقاً من المفتّش كامبل، ولكنني شديد القلق من الشخص الآخر. ألا تعرفينه؟

فقالت الآنسة غورنغ: نعم، لا أعرفه، كما أنه لم يذكر اسمه، وأعتقد أنه برتبة سيرجنت، ويبدو أنه أقرب إلى الفلاحين.

فقال همفريس متخلّياً عن وقاره: فلاح؟! هذا ديفي كبير مفتّشي اسكتلنديارد. إنه ثعلب عجوز يحسِبون له ألف حساب. ليتني أعرف ما يدور برأسه.

- هل تعتقد...؟

فقاطعها قائلاً: أنا لست مرتاحاً إلى وجوده. هل طلب مقابلة أحد آخر غير الخادمة؟

- أعتقد أنه قال إنه يرغب في الحديث مع هنري.

- نحن مطمئنون تماماً من ناحية هنري. ثم مَن أيضاً؟

- الاثنان اللذان يعرفان الكاهن، أعني الجنرال رادلي والآنسة ماربل.

فضحك همفريس ساخراً وهو يقول: أتمنّى أن يستمتع

بالحديث مع الجنرال الأصمّ. لن يستطيع التفاهم معه، وكذلك مع تلك الدجاجة العجوز المضحكة.

* * *

قال ديفي للمفتّش كامبل إنه غير مرتاح لهمفريس، وإنه لا يدري ما إذا كان مدير الفندق أم صاحبه، فأكّد له المفتّش الشاب أن فندق برترام مكان محترم ذو سمعة طيّبة، فقال ديفي بهدوء: يا لها من ميزة تلك السمعة الطيبة!

فهزّ كامبل رأسه وغادر الفندق تاركاً لديفي استكمال البحث على طريقته الخاصة، ثم توجّه ديفي إلى غرفة التدخين حيث كان الجنرال رادلي مستغرقاً في النوم، وعندما استيقظ وسأله ديفي عن معلوماته عن بنيفاذر لم يظفر منه بطائل، فوجد أن استمرار الحديث معه مضيعة للوقت فعاد إلى قاعة الاستقبال واختار لنفسه المائدة المجاورة للآنسة ماربل، فأسرع إليه هنري يعرض عليه خدماته فطلب ديفي بعض الشطائر مع الشاي، ثم هزّ المفتّش الكهل رأسه وهو يهمس لنفسه قائلاً: ذلك الرجل له شأنه، كم يدفعون له؟ لا شكّ أنهم يدفعون له أجراً مرتفعاً، ولكنه يستحقه.

بعد أن فرغ ديفي من تناول الشاي والشطائر مال بجسده قليلاً ناحية الآنسة ماربل قائلاً: معذرة، ألست الآنسة جين ماربل؟

- بلى، أنا الآنسة ماربل.

- هل تسمحين لي بالحديث معك؟ أنا مفتّش من اسكتلنديارد.

- أحقا؟ هل حدث شيء خطير؟

- لا تقلقي يا آنسة ماربل، كل ما في الأمر أننا نواجه بعض الصعوبات بشأن اختفاء الكاهن بنيفاذر.

- آه، بنيفاذر؟ كنت أعرفه منذ فترة. إنه شخص غائب الذهن دائماً ويخلط بين الأيام وينسى أين هو وإلى أين يذهب.

- ألم يقُل لك شيئاً قبل مغادرته الفندق؟

- بلى، لقد قال إنه ذاهب إلى مؤتمر في لوسرن في التاسع عشر.

- كان المفترض أن يكون في لوسرن في ذلك الموعد.

- أتعني أنه لم يذهب إلى لوسرن؟

- نعم، لم يذهب.

- يبدو أنه أخطأ في الموعد كعادته.

فقال ديفي بعد فترة: أنت تتحدثين عنه وكأنك تعرفين سلفاً أنه لن يذهب إلى لوسرن.

- لقد عرفت أنه لم يكُن في لوسرن لأنه كان هنا طَوال يوم الخميس، فأدركت أنه عندما أخبرني أنه سيسافر الخميس فقد كان يعني الجمعة، ولكن المؤكّد أنه غادر الفندق مساء الخميس حاملاً حقيبة صغيرة وقال إنه ذاهب إلى المطار، ولهذا تعجّبت أشدّ العجب عندما رأيته يعود إلى الفندق!

فقال المفتّش باهتمام: معذرة، أتقولين إنه عاد إلى الفندق؟

- نعم، عاد إلى الفندق. هذا ما أعنيه.

- دعيني أستوضح الأمر أكثر. لقد رأيت العجوز الكاهن يغادر الفندق على أنه متّجه إلى المطار، أليس كذلك؟

- بلى، رأيته، وكان ذلك في نحو السادسة والنصف.

- وتقولين إنه عاد، أليس كذلك؟

- بلى، قلت إنه عاد، فربما فاتته الطائرة، وهذا يفسّر سبب عودته.

- متى عاد؟

- في الواقع أنا لا أعرف لأنني لم أرَه وقت عودته.

- ولكنك قلت إنك رأيتِه.

- أجل، لقد رأيته في وقت لاحق ولكنني لم أرَه وقت دخوله الفندق.

- رأيتِه في وقت لاحق؟ متى؟

وفكّرت الآنسة ماربل قليلاً قبل أن تقول: كان الوقت نحو الثالثة صباحاً، وكنت مؤرّقة فاستيقظت على صوت غريب، ثم نظرت إلى ساعتي فوجدت العقارب تشير إلى الثالثة وعشر دقائق، ثم شعرت بعدم الارتياح إذ خُيّل إليّ أنني أسمع وقع أقدام في الخارج، ولهذا فتحت باب غرفتي ونظرت إلى الخارج فرأيت الكاهن بنيفاذر يغادر حجرته، وهي الحجرة المجاورة لي، متجهاً نحو الدرَج مرتدياً معطفه.

- هل كان يغادر حجرته وهو يرتدي معطفه في الساعة

الثالثة صباحاً؟!

- نعم، وقد دهشت لذلك.

فقال المفتّش ديفي بانفعال: آنسة ماربل، لماذا لم تذكري ذلك من قبل؟

فقالت الآنسة ماربل ببساطة: لأنه لم يسألني أحد.

فتنهّد المفتّش بعمق فقالت الآنسة ماربل: هل تعتقد أنه قد وقع له حادث؟

- لقد مضى أسبوع على اختفائه، كما أنه لم يصَب بنوبة أو يسقط في الطريق ولم يُنقل إلى المستشفى، فأين هو إذن؟ وقد نشرت الصحف خبر اختفائه ولم يتقدّم أحد بالإبلاغ عن مكانه. هل أنت واثقة من رؤيته وهو يخرج بعد منتصف الليل؟ ألم تتوهّمي ذلك؟

فقالت الآنسة ماربل بلهجة التأكيد: أنا متأكّدة تماماً مما أقول.

ثم وقف ديفي وقال إنه سيتحدث مع الخادمة. وكانت روز شيلدون في الخدمة، وقد أجابت عن سؤال ديفي بشأن آخر مرّة رأت فيها الكاهن بقولها: لقد رأيته آخر مرّة صباح الخميس يا سيدي، فأخبرني بأنه سيغيب الليلة وربما الليلة التالية، كما أعطاني قميصَين للغسيل، وعندما عُدت إلى نوبة العمل بعد الظهر لم يكُن في الغرفة، وكان قد ترك حقيبتين.

- ألم تدخلي الغرفة صباح اليوم التالي؟

- بلى، دخلت الغرفة في الصباح لأنظفها كالعادة؛ فنحن

ننظف الغرف كل يوم.

- هل نام في سريره في الليلة السابقة؟

فقالت روز بارتياع: آه! لا.

- وماذا بشأن الحمّام؟

- لقد عثرت على منشفة مبتلة قد يكون استعملها في الليلة الماضية.

- ألم تكُن توجد أي آثار تدلّ على عودته في وقت متأخّر من الليل؟

فنظرت إليه الخادمة بارتباك فعاد ديفي يسألها قائلاً: وماذا بشأن ملابسه؟

- كانت معلّقة داخل الصوان، وقد جمعتها الآنسة غورنغ بعد ذلك لترتيبها في الحقائب؛ إذ كانت الغرفة محجوزة لشخص آخر.

استعرض ديفي الموقف في ذهنه قائلاً لنفسه: ماذا بشأن تقرير الآنسة ماربل حول عودة الكاهن إلى غرفته؟ هل تسلّل إلى حجرته كي لا يراه أحد؟ أم أنها كانت تحلم؟

تقدّم المفتّش بالشكر للخادمة ثم هبط الدرَج وهو لا يزال يفكّر في سرّ اختفاء الكاهن. واستعرض ديفي بنظراته الجالسين في قاعة الاستقبال فوجدهم كلّهم من المسنّين من الطراز العتيق، ولكن خُيّل إليه أنه يوجد خطأ ما في ذلك المكان وأنه يبدو خيالياً وأبعد ما يكون عن الواقع.

وعندما وصل ديفي إلى مدخل الفندق كان المنادي بميدالياته الذهبية يساعد بعض النزلاء الأمريكيين في حمل حقائبهم إلى سيارة الأجرة، وعندما فرغ المنادي من مهمّته التفت نحو ديفي قائلاً: أتريد سيارة أجرة يا سيدي؟

فتأمّله المفتّش طويلاً. كان الرجل يبلغ أكثر من مئة وثمانين سنتيمتراً طولاً، حسن المظهر، يضع مجموعة من الميداليات الذهبية فوق صدره، زائغ النظرات مما يوحي بأنه يفرط في الشراب. ثم قال ديفي: هل كنت في الجيش قبل ذلك؟

- نعم، كنت في الحرس الأيرلندي.

- وأين حصلت على الميداليات؟

- في أثناء الخدمة في بورما.

- ما اسمك؟

- مايكل جورمان يا سيدي.

- هل الوظيفة مناسبة هنا؟

- المكان هنا يسوده الهدوء.

- ألم يكُن من الأفضل أن تعمل في الهيلتون؟

- أنا أحب العمل هنا؛ فالنزلاء طيبون والبقشيش جيد.

- أنت رجل أيرلندي مقامر، أليس كذلك؟

- وما قيمة الحياة دون مقامرة؟

- هل تذكر الكاهن بنيفاذر؟

- دعني أتذكر، يخيّل إليّ أنني أتذكّر الاسم.

- رجل دين متقدّم في العمر، الكاهن الذي اختفى من هذا الفندق.

- آه، عرفت الشخص الذي تقصده.

- هل تعرفه حقاً؟

- لم أكُن لأتذكره لولا كثرة الأسئلة التي وُجّهت إليّ بشأنه، وكل ما أعرفه أنني استدعيت له سيارة أجرة لتذهب به إلى نادي الأثينيوم، وكانت هذه هي آخر مرّة أراه فيها. لقد أخبرني أحدكم بأنه سافر إلى سويسرا ولكنه لم يعُد. يبدو أنه ضلّ السبيل.

- ألم ترَه في وقت لاحق من ذلك اليوم؟

- نعم، لم أرَه.

- متى ينتهي عملك؟

- في الحادية عشرة والنصف.

فأومأ المفتّش برأسه وسار ببطء نحو شارع بوند. ومرّت بجواره سيارة مسرعة، ثم توقّفت بالقرب من فندق برترام، فأدار ديفي رأسه إلى الخلف ولاحظ أن السيارة تحمل رقم فان ٢٢٦٦، فأثار الرقم في ذهنه بعض الذكريات. ثم استدار ديفي وعاد إلى الفندق فوصل إلى المدخل بعد لحظات من خروج سائق السيارة مندفعاً ليعود إلى سيارته، وكان كل منهما مناسباً للآخر، وقد كانت السيارة سيارة سباق مخطّطة بخطوط لامعة. فتح المنادي الباب للسائق فقفز الشاب داخل السيارة بعد أن

منح المنادي قطعة من العملة، ثم أطلق العنان لسيارته. قال ديفي للمنادي: هل تعرفه؟

- نعم، إنه لاديسلاوس مالينووسكي. لقد فاز بجائزة السباق الكبرى منذ عامين، ثم أُصيب في حادث العام الماضي. يقولون إنه استعاد صحّته الآن.

- لا أظن أنه من نزلاء الفندق لأنه غير مناسب لطرازه.

فغمز مايكل بعينه وهو يقول: إنه لا يقيم في الفندق، ولكن له صديقة.

حاول ديفي أن يتذكّر المعلومات التي يعرفها عن لاديسلاوس، فتذكّر أنه شخص مقامر وأنه على علاقة بسيدة معروفة ولكنه لا يتذكّر اسمها. وهنا قرّر ديفي أن يعود إلى الفندق، فذهب إلى مكتب الاستقبال وطلب من الآنسة غورنغ أن تطلعه على سجلّ الفندق، ثم أخذ يقلّب صفحات السجلّ مستعرضاً الأسماء قائلاً في نفسه: السيدة سيلينا هينري، السيد والسيدة هنيسي كنغ، سيرجون وودستوك، السيدة سِيد جويك، السيد والسدة آلمركاموت، الآنسة جين ماربل، السيدة كاربنتر، الآنسة إيلفيرا بليك، الكاهن بنيفاذر، الدوق بارتستابل.

وبينما كان يهمّ بترك السجلّ استرعى انتباهه اسم في الصفحات السابقة، وهو السير ويليام لادغروف الذي تعرّف عليه أحد ضباط الاحتياط في حادث سرقة المصرف فقال لنفسه: السيد لادغروف والكاهن بنيفاذر، كلاهما من نزلاء فندق برترام!

استقبله هنري ببشاشة فأخبره ديفي بأن الشاي كان ممتازاً

وأنه تذكّر أنه لم يدفع الحساب، وعندما حاول أن يفتح محفظته قال هنري باسماً: لا يا سيدي، حسابك على حساب الفندق، هذه تعليمات السيد همفريس.

ثم اتجه ديفي نحو الباب وهو على ثقة من أن هنري يعرف أكثر مما يقول، وبعد خروج ديفي من الفندق كتب في دفتر مذكّراته اسماً واحداً ثم اتجه إلى كشك الهاتف.

* * *

الفصل التاسع

كان الصوان هو مصدر قلق الكاهن بنيفاذر، حيث كان من المفترض أن يكون الصوان على يمينه بينه وبين النافذة، ولكنه كان في الجانب الأيسر. ولم يكُن قد استيقظ تماماً، ثم أحسّ برأسه يؤلمه بشدّة فاستسلم إلى النوم مرّة أخرى، وعندما فتح عينيه كان ضوء النهار يتسرّب من خلال الستارة التي تغطي النافذة، فتذكّر أنه كان في فندق برترام، ولكن الصورة التي وقعت عليها عيناه كانت تختلف عمّا يذكره عن غرفته في الفندق.

وكان الألم في رأسه لا يزال يسبّب له صداعاً فأغلق عينيه، وعندما فتحهما للمرّة الثالثة وجد نفسه في غرفة خشبية أثاثها بسيط ومحدود. وكان رأسه أكثر صفاء فتأكّد من أنه ليس في منزله، كما أنه ليس في الفندق، فسأل نفسه قائلاً: هذا أمر غريب! أين أنا؟

وفكّر في مغادرة الفراش ليستطلع الأمر ولكن الصداع بدأ يساوره من جديد فقال لنفسه: لا شكّ أنني مريض، لعلها الإنفلونزا التي تهاجم الإنسان فجأة، ربما فاجأتني وأنا أتناول العشاء في الأثينيوم.

وتذكّر أنه كان يتناول العشاء في الأثينيوم، ثم سمع أصوات حركة في المنزل فظنّ أنهم ربما نقلوه إلى مستشفى صغير، ولكن ذلك ليس مستشفى. ثم سمع صوت رجل يقول: إلى اللقاء يا صغيرتي، أريد سجقاً وعصيدة على العشاء.

وعندما سمع الحديث عن الطعام أحسّ بالجوع، وبعد لحظة رأى الباب يُفتح وتدخل منه سيدة متوسطة العمر قالت له: أراك قد استيقظت. كيف تشعر الآن؟

فقال الكاهن بضعف: لست في حالة جيّدة.

- أعرف ذلك. لقد كنت في حالة يُرثى لها، إن شيئاً ما قد صدمك صدمة عنيفة، وقد قال الطبيب إنها صدمة سيارة. يا لهؤلاء السائقين الملاعين! إنهم لا يتوقّفون حتى يروا نتيجة عملهم.

- حادث سيارة؟!

- نعم. لقد عثرنا عليك ملقىً في الطريق، وفي بداية الأمر حسبناك مخموراً، ولكن زوجي لم يشمّ منك رائحة الخمر فقال إنك رجل محترم ولا بأس من أن ننقلك إلى البيت، كما قال إنه لا داعي إلى إبلاغ الشرطة لأن ذلك قد يسيء إليك، ثم استدعى الدكتور ستوكس رغم أنه ممنوع من مزاولة المهنة لأنه كان يساعد الفتيات في التخلّص من... على أية حال لقد جاء ليلقي نظرة عليك، ثم قال إنه مجرّد ارتجاج خفيف يحتاج إلى الراحة والرقاد في حجرة مظلمة. والآن ما رأيك في بعض الحساء؟

- سوف أسعد بذلك كثيراً.

- سأضع وراء ظهرك وسادة أخرى.

ثم سأل بنيفاذر عن المكان فقالت السيدة: نحن في ميلتون سانت جون. ألا تعرفها؟

- ميلتون سانت جون؟ لم أسمع عن هذا الاسم من قبل.

- إنها مجرّد قرية صغيرة.

- هل أستطيع أن أسألك عن اسمك؟

- السيدة هويلنغ، إيما هويلنغ.

- ولكنني لا أذكر شيئاً عن ذلك الحادث.

- عليك بالراحة الآن، وسوف تتحسن وتتذكر كل شيء فيما بعد.

ثم همس بنيفاذر لنفسه بدهشة قائلاً: ألا يعني الاسم شيئاً بالنسبة لي؟ كم هو غريب!

* * *

كان السير رونالد غريفز يستمع إلى كبير المفتّشين ديفي وهو يحدّثه عن نتيجة تحقيقاته، ثم سأله عما إذا كان يرى أن لاديسلاوس مالينووسكي هو الرأس المدبّر لتلك الجرائم، فأجابه ديفي قائلاً: أنا أستبعد ذلك الاحتمال وإن كنت واثقاً من أن بطل سباق السيارات شريك في ارتكاب الجرائم؛ ففي حادث سرقة المصرف شوهدت سيارة سباق من طراز مرسيدس أدنو، وكذلك في سرقة القطار رغم اختلاف رقم اللوحة في الحالتين.

ثم تطرّق الحديث إلى فندق برترام ورغبة ديفي في معرفة أصحاب الفندق الحقيقيين، ثم عرض على مساعد رئيس اسكتلنديارد ورقة عليها اسم واحد من كبار الشخصيات في الدوائر المالية وطلب الإذن له بمقابلته، وعندما وجد السير غريفز تصميم المفتّش على وجهة نظره أذِن له بذلك. ثم توجّه ديفي إلى مَن يُعرف بالسيد روبنسون، ورغم أنه لم يكُن بريطانياً إلا أنه يتحدّث الإنكليزية بطلاقة، ولكن المعروف أن لديه معلومات كثيرة سواء كانت عن أمور تجري داخل البلاد أو داخل القارة. ولم تستغرق المقابلة مدّة طويلة، وبعد اتصال هاتفي قصير كان يتكلم فيه السيد روبنسون لغة لا يعرفها ديفي قال له: المالك هو ويلهيلم هوفمان، وهو سويسري الجنسية وله تأثير كبير في الدوائر المالية، ورغم أنه يلتزم جانب القانون إلا أنه يعقد الكثير من الصفقات المشبوهة، ومجال نشاطه مقصور على القارة وليس داخل البلاد فقط، كما أن له أخاً يُدعى روبرت هوفمان يعيش في لندن يتاجر في الألماس بصفة أساسية، وهو على درجة كبيرة من الثراء، وهو وأخوه يمتلكان فندق برترام.

- شكراً لك يا سيدي. هل تسمح لي بسؤال أخير؟ هل يستخدم الرجلان العنف في أعمالهما؟

فقال روبنسون بلهجة التأكيد: لا بالتأكيد، ليس العنف من سياستهما. إن لديهما وسائل أكثر فاعلية من العنف، وهما يزدادان ثراءً عاماً بعد عام، هكذا تحدّثني مصادر معلوماتي من سويسرا.

وعندما عاد ديفي إلى اسكتلنديارد وجد في انتظاره مذكّرة تقول: ظهر الكاهن بنيفاذر سليماً ولكنه ليس بصحّة جيدة،

ويبدو أنه أُصيب في حادث سيارة في قرية ميلتون سانت جون، ولديه ارتجاج بسيط في المخّ.

* * *

كان الكاهن بنيفاذر ينظر إلى كبير المفتّشين ديفي والمفتّش كامبل، وهما ينظران إليه وهو ممدّد على أحد مقاعد الراحة واضعاً رجليه فوق مقعد آخر، ثم قال لهما بأدب: يؤسفني أن أقول لكما إنني لا أذكر شيئاً على الإطلاق.

- ألا تذكر حادث السيارة التي صدمتك؟

- للأسف، لا أذكر.

فقال كامبل بحدّة: وكيف عرفت أن سيارة صدمتك؟

- السيدة هويلنغ هي التي أخبرتني.

- وكيف عرفَت؟

فبدت الحيرة على وجه الكاهن ثم قال: معك حق، كيف عرفَت؟ أعتقد أنها استنتجت ذلك.

- ولماذا ذهبت إلى قرية ميلتون سانت جون؟

- لا أدري. الاسم نفسه غريب عليّ.

فتدخّل ديفي في الحدث وقال للكاهن بلهجة رقيقة: حدّثنا عن آخر شيء تذكره قبل الحادث يا سيدي.

- كنت ذاهباً لحضور مؤتمر في لوسرن، فركبت سيارة أجرة إلى المطار، وهذا كل ما أتذكّره حتى استيقظت فوجدت

الصوان في غير موضعه.

فقال المفتش كامبل بغيظ: أي صوان؟

فتدخّل ديفي مرّة أخرى قائلاً للكاهن بوُدّ: هل تذكر وصولك إلى المطار؟

- أعتقد ذلك.

- هل ركبت الطائرة؟

- لا أستطيع أن أتذكّر شيئاً.

- هل تتذكر أنك عُدت إلى الفندق في تلك الليلة؟

- لا.

- هل تتذكر أنك سافرت بالقطار؟

- قطار؟! لا، لا أتذكّر شيئاً من ذلك.

- لقد حدثت سرقة في القطار يا سيد بنيفاذر، فهل تذكر هذا؟

- آه، ينبغي أن أتذكر، ولكنني في الواقع...

وسكت وهو ينقل بصره بينهما، فقال ديفي: ملخّص كلامك أنك لا تتذكّر شيئاً بعد ركوب سيارة الأجرة حتى وجدت نفسك في تلك القرية، أليس كذلك؟

- يبدو أن أربعة أيام كاملة قد سقطت من ذاكرتي. هذا أمر غريب! يقول الطبيب إن ذاكرتي قد تعود فجأة، كما أنه من المحتمل أن لا أعرف شيئاً عما حدث لي خلال هذه المدّة.

ألتمس المعذرة فأنا متعَب جداً.

وهنا تدخّلت السيدة ماك كراي بسرعة طالبة من المفتّشَين عدم إرهاق الكاهن بناءً على تعليمات الطبيب، ثم خرج كامبل أولاً. وبينما كان ديفي بالقرب من الباب سمع الكاهن يتمتم بكلمات خافتة فسأله كامبل قائلاً: ما الذي كان يقوله؟

- يقول: أسوار أريحا.

- وما معنى ذلك؟

- أظن أنه شيء له علاقة بقصة في الإنجيل.

ثم سأل كامبل ديفي عن رأيه في الكاهن وعما إذا كان يشكّ في وجود صلة بينه وبين العصابة التي تقوم بجرائم السرقات، فقال إن الرجل شخصية محترمة وإنه يستبعد ذلك، وإن كان لا يستطيع أن يفسّر ما ذكرته سيدة في منتصف العمر كانت تركب قطار البريد الأيرلندي، فقد ذكرت أنها شاهدت الكاهن يصعد إلى القطار بعد توقّفه وأنها تخيّلت أنه نزل قبل ذلك ليستطلع سبب توقّف القطار. ثم تذكّر ما قالته الآنسة ماربل عن مغادرة الكاهن لغرفته في الساعة الثالثة صباحاً في حين وقعت سرقة القطار في الخامسة صباحاً. هل يمكن أن يكون الكاهن قد انتقل من الفندق إلى موقع القطار بإحدى سيارات السباق؟

* * *

الفصل العاشر

التقى المفتّش ديفي بالسيد هوفمان، وهو رجل ضخم ذو وجه كأنه منحوت من الخشب لا يعبّر عن شيء. قال السيد هوفمان: ديفي كبير المفتّشين؟ لعلك لا تذكرني.

- كيف لا أذكرك وقد كنت شاهد الملك في قضية ماسة رونبرغ؟ لم يستطع الدفاع أن يهزّك.

- لا شيء يستطيع أن يهزّني. هل من خدمة أستطيع أن أؤدّيها لك؟ أنت تعرف جيّداً شدة رغبتي في معاونة جهاز الشرطة التي أشهد بكفاءته.

- كنت أريد أن أعرف منك بعض المعلومات عن فندق برترام.

فسكت السيد هوفمان فاستطرد ديفي قائلاً: ألست مالكاً للفندق؟

فلم يستطع هوفمان أن يخفي انفعاله هذه المرّة وقال: إنني أستثمر أموالي في كثير من المشروعات، فنادق ومكاتب ومطاعم ونوادٍ. بلى، إنه مجرّد واحد من ممتلكاتي الكثيرة، ولكن مَن الذي أخبرك؟

فتجاهل ديفي السؤال فاستطرد هوفمان قائلاً: إن حالة الفندق كانت تتدهور فوجدتها فرصة سانحة للاستثمار.

فقال ديفي: ولكنه وقف على قدميه الآن.

- أجل، لأن الأيدي العاملة فيه على درجة عالية من الكفاءة.

- لقد ذهبت إلى الفندق والتقيت بالمدير، أليس اسمه السيد همفريس؟

- بلى، وهو رجل ممتاز يعمل باجتهاد، وأنا أكتفي بإلقاء نظرة على الحساب الختامي مرّة كل عام. هل زرت الفندق بصفة رسمية؟

- مجرّد مشكلة بسيطة، اختفاء أحد رجال الدين. لقد خرج الرجل من الفندق ذات ليلة ولم يعُد.

- أرجو أن يكون رجال الفندق قد قدّموا لك المعاونة المطلوبة.

- لقد كانت الآنسة غورنغ لطيفة، وكذلك كبير المضيفين هنري. أنت موفّق للغاية في اختيار ذلك الطاقم الممتاز من الموظفين.

- في الواقع أنا أدير العمل من خلال نخبة ممتازة من المديرين.

- ومَن تكون تلك المجموعة من المديرين بالإضافة إليك؟ هل هي... أخوك؟

فتردّد هوفمان قليلاً ثم قال بثبات: أخي ويلهيلم شريك، وكما ذكرت ليس برترام سوى حلقة من سلسلة من الأعمال الضخمة التي نقوم بها، كما يشترك معنا اللورد بوفمريت وإبيل إيزاكسشتاين. هل تهمّك كل هذه المعلومات في قضية اختفاء رجل الدين؟

فهزّ ديفي رأسه وهو يقول: هذا مجرّد فضول.

- وهل استطعت أن أُشبع فضولك؟

- يوجد موضوع آخر أريد أن أسألك عنه، من أين تختار تلك النخبة الممتازة من الموظفين؟

فضحك السيد هوفمان وهو يقول: أرجو أن تُوفّق في العثور على رجل الدين الغائب.

- لقد ظهر، ولكنه كان مصاباً في حادث سيارة، وقد خرج من الحادث بارتجاج خفيف في المخّ.

وقبل أن يغادر ديفي الحجرة التفت إلى الخلف قائلاً للسيد هوفمان: بالمناسبة، هل السيدة سِيد جويك واحدة من المديرين؟

- السيدة سِيد جويك؟ لا، إنها مالكة لبعض الأسهم.

خرج ديفي بعد أن قدّم الشكر للسيد هوفمان، ثم عاد رأساً إلى اسكتلنديارد وقال للسير رونالد: الأخوان هوفمان أصحاب فندق برترام، وهما يقومان بالتمويل المالي فقط.

- أليس من المحتمل أن يكونا العقل المدبّر لسلسلة الجرائم الأخيرة؟

- أنا أستبعد هذا الاحتمال؛ فهما لا يخطّطان لارتكاب الجرائم وإنما يموّلان العمليات، أما التخطيط فيقف وراءه عقل مدبّر شديد الذكاء.

* * *

في ذلك المساء هبط الضباب فجأة على لندن في حين كان كبير المفتّشين ديفي يحوم حول فندق برترام كالقِطّ الذي يتحفّز للانقضاض على فريسته، وكان يسير حول الفندق في كل الاتجاهات بحيث يخيّل إلى من يراه أنه يمشي بلا هدف، ولكنه كان يدرس المكان من شتى الاتجاهات. وكان يلقي نظرة فاحصة على السيارات المتوقّفة عندما وقعت عيناه على لوحة سيارة سباق تحمل رقم ٢٢٦٦، فقال لنفسه: أنت هنا الليلة أيضاً؟!

ثم اتجه نحو مدخل الفندق فرأى سيارة سباق أخرى، فتأملها بانبهار وهو يقول: أنت أيضاً رائعة! كما أن أرقامك لم تتغيّر، لم تتغيّر قطّ، وذلك يعني أن الضباب يزداد كثافة.

والتقى بالمنادي أمام المدخل وهو يفرك يديه ليشعر بالدفء، ثم أسرع المنادي إلى سيدة عجوز تريد ركوب إحدى سيارات الأجرة لزيارة بعض الأصدقاء فنصحها بالعودة إلى الفندق والاعتذار هاتفياً، فقبلت العجوز النصيحة ودخلت الفندق، ثم التفت المنادي نحو ديفي قائلاً: إنني أولي السيدات المسنّات عناية خاصة. هل تحبّ أن أستوقف لك إحدى سيارات الأجرة يا سيدي؟

- لا؛ فلديّ عمل داخل الفندق.

- ألا تزال تشغلك قصّة الكاهن المختفي؟

- ليس تماماً؛ فقد ظهر الكاهن، ولكنه مصاب في حادث سيارة.

- هذا متوقع من رجل في مثل سنّه عندما يعبر الطريق وهو شارد الذهن.

فأومأ ديفي برأسه ثم اجتاز الأبواب الدوّارة إلى داخل الفندق، وكان عدد النزلاء الجالسين في قاعة الاستقبال محدوداً، ثم لمح الآنسة ماربل جالسة على مقعد بالقرب من المدفأة، كما رأته الآنسة ماربل ولكنها لم تُظهِر أنها تعرفه. ثم اتجه نحو مكتب الاستقبال حيث رحّبت به الآنسة غورنغ دون حماسة وسألته عما يريد فطلب منها سجلّ الفندق، ثم أخذ يقلّب صفحاته ببطء، وبعد ذلك هزّ رأسه وهو يطوي السجلّ قائلاً: أعتقد أن الكاهن بنيفاذر لم يرجع إلى الفندق.

فأبدت الآنسة غورنغ دهشتها فأخبرها أن الكاهن قد ظهر، فقالت الآنسة غورنغ: لم يخبرنا أحد بذلك!

- لقد ظهر في الريف، وكان مُصاباً في حادث سيارة، وظلّ تحت رعاية أسرة ريفية بعض الوقت.

- أنا سعيدة لسماع هذا النبأ. لقد كنت شديدة القلق عليه.

- كذلك كان الحال مع أصدقائه.

ثم تركها ديفي واتجه نحو القاعة مستعرضاً بنظراته الجالسين، فسمعهم يتحدثون عن الضباب الذي يتكاثف في الخارج، ثم سار نحو هدفه الذي جاء من أجله، وقال للآنسة

ماربل: أنا سعيد لأنك لا تزالين هنا يا آنسة ماربل.

- أنا سأرحل غداً؛ فقد انتهت مدّة إقامتي.

- هل استمتعت بإقامتك في الفندق؟

- من ناحية، نعم.

- وماذا عن الناحية الأخرى؟

- من الصعب أن أشرح لك ما أعنيه.

فسألها ديفي عما إذا كان من الأنسب أن ينتقلا إلى ركن منعزل ليتحدثا بعيداً عن الآذان. قال ديفي بعد انتقالهما إلى المكان الجديد: لقد قرأت في عينيك أنك تريدين أن تقولي لي شيئاً يا آنسة ماربل، فماذا لديك؟

تردّدت الآنسة ماربل قليلاً ثم حدّثته عن القلق الذي تشعر به نحو شابة صغيرة رأتها تجلس مع شاب في الثلاثين من عمره شديد الوسامة وجهه يشبه الصقر وفي عينيه نظرات خبيثة، كما أخبرته بأنها تخشى على الفتاة من خطر داهم يتهدّدها، فأدرك ديفي أنها تقصد الآنسة إيلفيرا بليك. وعندما قالت الآنسة ماربل إن الشاب الشرير الذي تعنيه يقود سيارة سباق سألها عن رقم السيارة فقالت: رقمها فان ٢٢٦٦، وقد حفظت الرقم جيّداً. هل تعرف صاحب السيارة؟

- في الواقع أعرفه، هو شاب فرنسي بولندي، بطل معروف في ميدان سباق السيارات واسمه لاديسلاوس مالينووسكي. أنت محقة في وصفه بأنه شرّير، وهل تقابله الفتاة سرّاً؟

- نعم.

ثم سألته الآنسة ماربل عما إذا كان في استطاعة الشرطي أن يساعد الفتاة فوعدها بالمحاولة، ثم أخبرها بالعثور على صديقها الكاهن بنيفاذر فأعربت الآنسة ماربل عن سعادتها لسماع ذلك النبأ، ثم سألته عن المكان الذي كان فيه فقال: في قرية صغيرة اسمها ميلتون سانت جون.

- هذا أمر غريب! ماذا كان يفعل هناك؟

- لا أحد يدري. لقد أصيب في حادث سيارة، أو ربما كان قد تلقّى ضربة على رأسه. وهو يقول إنه لا يذكر شيئاً عما حدث له.

فسألته الآنسة ماربل باهتمام قائلة: ألم يقُل شيئاً؟

- قال كلمة غريبة، قال: أسوار أريحا.

- أسوار أريحا؟ هذا اسم فِلم يُعرض حالياً في دور العرض، فربما كان قد ذهب إلى شارع كروميلي وشاهد الفِلم ثم رجع إلى الفندق.

- إذا كان قد عاد إلى الفندق في منتصف الليل فلماذا يخرج مرّة ثانية في الثالثة صباحاً؟

ثم دوّى صوت كوابح سيارة في الخارج فقفزت الآنسة ماربل من مكانها مذعورة، وعندما هدأت قالت: كل ما يحيط بهذا المكان يبدو غير حقيقي، حتى صديقتي سيلينا هينري كانت ترى أشخاصاً تحسبهم من الأصدقاء القدامى، فإذا ما حدثتهم اتضح لها أنها كانت مخطئة، كما أن تلك الخادمة روز لطيفة أكثر مما ينبغي، إلى درجة أنني أشكّ في أنها هي الأخرى

ليست حقيقية.

- قد يهمك أن تعرفي أنها ممثلة سابقة، وأنهم يدفعون لها أكثر بكثير مما كانت تربحه في المسرح.

- ولكن لماذا؟

- ربما لتكون جزءاً من الشكل العام الذي يحيطون به الفندق، وربما كان يوجد سرّ خفيّ.

- أنا سعيدة لأنني سوف أترك الفندق، فقلبي يحدّثني بأن شرّاً ما سوف يحلّ بهذا المكان. أنا أقول ذلك من واقع تجاربي السابقة فيما يتعلق بجرائم القتل.

- القتل؟! أنا لا أظن أنه سوف تقع جريمة قتل، بل لن تقع جرائم قتل.

ثم دوّت في الخارج رصاصة بدّدت سكون الليل تلتها صرخة ثم أعقبتها رصاصة أخرى، فقفز ديفي من مكانه وجرى نحو الباب بسرعة لا تتناسب مع ضخامته، وخلال ثوانٍ قليلة كان قد تجاوز الأبواب الدوّارة إلى الخارج. وكانت صرخة الفتاة تحمل رنين الفزع، ثم أسرع ديفي نحو مصدر الصوت فلمح من خلال الضباب شبح امرأة مستندة إلى السور، وعندما وصل إليها وجدها ترتدي معطفاً من الفراء وقد تهدّل شعرها الذهبي على جانبَي وجهها، وعلى بُعد خطوات منها كانت ترقد جثّة رجل في زيّه الرسمي عرف أنه مايكل جورمان، وعندما وصل ديفي إلى الفتاة تعلّقت بذراعه وهي ترتجف قائلة بكلمات متقطعة: لقد حاول أحدهم أن يقتلني فأطلق عليّ الرصاص لولا...

ثم أشارت إلى الجسم الراقد على الأرض بلا حركة قائلة:

لقد دفعني إلى الوراء ووقف أمامي، وعندما أُطلقت الرصاصة الثانية سقط. لقد أنقذ حياتي. هل أصيب إصابة خطيرة؟

فانحنى ديفي فوق الجثّة وتحسّس النبض ثم رفع رأسه قائلاً: لقد مات.

وكان الدم ينزف من جانبه الأيسر فقالت الفتاة صارخة: آه، لا، لا!

- مَن الذي أطلق عليك الرصاص؟

- لا أدري، فعندما نزلت من سيارتي متجهة نحو الفندق مرّت رصاصة بجوار خدّي، وعندئذ أسرع المنادي نحوي فدفعني خلفه عندما انطلقت الرصاصة الثانية. أعتقد أن القاتل كان يختبئ في هذه المنطقة.

ونظر ديفي إلى حيث تشير الفتاة، وعند طرف الفندق رأى باباً من تحته درجات تؤدّي إلى مخزن غير مستعمل يمكن أن يتخذه القاتل مخبأً، فسأل الفتاة قائلاً: ألم ترَي القاتل؟

- نعم، لم أتبيّن شكله؛ فقد مرّ بجانبي كالشبح، كما كان الضباب كثيفاً.

فأومأ ديفي برأسه، ثم ارتمت الفتاة على صدره وهي تبكي بشدّة قائلة: مَن الذي يريد أن يقتلني؟ لماذا يريدون قتلي؟ هذه هي المحاولة الثانية. لماذا؟

فأحاطها الشرطي بذراعه ثم أخرج المنديل من جيبه باليد الأخرى وأعطاه لها.

* * *

كان صوت الرصاص قد جذب انتباه نزلاء الفندق فأطلّت الآنسة غورنغ برأسها من مكتبها، ثم فُتحت الأبواب الدوّارة ونفذ من خلالها شرطي بجسمه الضخم يسند فتاة شاحبة الوجه ترتدي معطفاً من الفراء، فتحرّكت الآنسة غورنغ من مكانها في نفس اللحظة التي هبط فيها المصعد ونزلت منه سيدة ما كادت الفتاة تراها حتى اندفعت نحوها وهي تصرخ قائلة: أمّي، آه يا أمّي، أمّي.

وارتمت الفتاة باكية بين أحضان أمّها.

* * *

الفصل الحادي عشر

مال كبير المفتّشين ديفي في مقعده إلى الخلف وهو يجلس في مواجهة الأم وابنتها، وكان الوقت بعد منتصف الليل عندما وصل العديد من رجال الشرطة حيث عُني بعضهم برفع البصمات ونقل الجثّة، كما جلس شرطي في الحجرة الصغيرة التي خُصّصت للتحقيق المبدئي أمام ديفي يكتب، في حين وقف السيرجنت واديل بالقرب من الباب. وقد لاحظ ديفي وجود بعض الشبه بين الأم والابنة، ولكن أوجه الاختلاف كانت أوضح بكثير، حيث كان كل شيء يتعلق بالسيدة بيس سِيد جويك إيجابياً كحيويتها وطاقتها وجاذبيتها، أما إيلفيرا فهي سلبية طيّعة منقادة لا تستطيع أن تفعل شيئاً في العلن، وتلتقي بحبيبها سرّاً في غفلة من رقابة الوصيّ عليها. كان ديفي يسأل نفسه قائلاً: ماذا كانت تفعل الفتاة خارج فندق برترام في ذلك الجوّ من الضباب الكثيف؟

وكان يريد أن يوجّه إليها هذا السؤال ولكنه كان على ثقة من أنها ستخترع قصّة غير حقيقية لحماية نفسها. هل جاءت إلى هنا لتلتقي بالأم أم لتبحث عنها؟ ثم فكر في سيارة السباق التي تقف بالقرب من الفندق وتحمل لوحتها رقم ٢٢٦٦. لا بدّ أن يكون لاديسلاوس مالينووسكي قريباً من هنا.

ثم تكلّم ديفي قائلاً للفتاة: حسناً، كيف حالك الآن؟

- أنا أحسن حالاً الآن.

- حسناً، أريد أن أوجّه إليك بعض الأسئلة لأن عنصر الوقت مفيد جداً في مثل هذه المواقف. لقد أُطلق الرصاص عليك مرّتين ولقي رجل مصرعه، ونحن نريد أن نجمع أكبر قدر من الحقائق للتوصل إلى القاتل.

- سوف أُدلي إليك بكل ما أعرفه من معلومات، ولكن ما حدث وقع بصورة مفاجئة، كما كان الضباب كثيفاً، وليست لديّ فكرة عن القاتل أو شكله؛ فقد كنت في حالة فزع شديد.

- لقد قلت إن هذه هي المرّة الثانية التي يسعى فيها أحدهم إلى قتلك، هل يعني هذا أنه توجد محاولة أولى؟

فقالت الفتاة وهي تتحرّك باضطراب: هل قلت ذلك؟ لا أذكر.

- لقد قلت ذلك، وأنت تعرفين جيداً أنك قلتِه.

- أعتقد أنني كنت في حالة هستيرية.

- لا أظن ذلك. أنا واثق أنك كنت تقصدين ما تقولينه.

- ربما كنت متوهّمة.

فاقتربت بيس سِيد جويك منها قائلة: من الخير لك أن تخبريه يا إيلفيرا.

فقال ديفي برقّة: لا داعي إلى القلق، فنحن، رجال الشرطة، نعرف أن الفتيات لا يصارحن أمهاتهن أو الأوصياء

عليهن بكل شيء، كما أننا لا نأخذ تلك الأمور على محمل الجدّ، ولكن لا بدّ لنا من معرفتها لأنها قد تساعدنا.

فسألتها بيس سِيد جويك قائلة: هل حدث ذلك في إيطاليا؟

فقالت إيلفيرا: نعم.

قال ديفي: حدث ذلك في أثناء دراستك عند تلك الكونتيسة...

- بلى، الكونتيسة مارتينيللي، وكان عددنا نحو عشرين دارسة.

- أنت تعتقدين أن شخصاً حاول قتلك، فكيف حدث ذلك؟

- لقد وجدت في حجرتي صندوق حلوى فيه بعض قطع من الشوكولاتة ومعه بطاقة تقول: «إلى السنيوريتا الجميلة» دون توقيع، فضحكت أنا وصديقاتي ونحن نتساءل عمّن أرسل الصندوق.

- هل وصل بالبريد؟

- لا، لقد وجدته موضوعاً على سريري.

- هل أفهم من هذا أنك لم تخبري الكونتيسة بالأمر؟

فضحكت إيلفيرا ضحكة شاحبة ثم قالت: نعم، بالتأكيد. على أية حال نحن فتحنا الصندوق وكان يضمّ بعض قطع الشوكولاتة من مختلف الأصناف، ولكن بعضها كان محلى

بالكريمة البنفسجية، وهو الصنف المحبّب إلى نفسي، ولهذا أكلت منها قطعتين، ثم شعرت بمغص شديد في تلك الليلة فظننت أنه نتيجة بعض الأطعمة التي تناولتها في العشاء.

- هل شعر أحد غيرك بالمغص؟

- لا. ثم تحسّنت حالتي في اليوم التالي، وبعد يومين شعرت بنفس الأعراض بعد تناول قطعتين أخريين من نفس الصنف، ففحصت أنا وبريدجيت، صديقتي الحميمة، قطع الشوكولاتة المحلاة بالكريمة فوجدناها مثقوبة من أسفل ومملوءة بمادة غريبة، فأدركت أن الذي اختار تسميم القطع المحلاة بالكريمة كان يقصدني بالذات.

- ألم يكُن من المحتمَل أن تأخذ إحدى صديقاتك بعض قطع الشوكولاتة المحلاة بالكريمة؟

- نعم، لم يكُن ذلك محتمَلاً؛ فقد كان الصندوق خاصاً بي، وكانت صديقاتي يعلمن مدى حبّي للشوكولاتة بالكريمة، ولذلك تركنها لي.

فقالت سيدة سِيد جويك بحدّة: هذا غباء مطلق، غباء تام! أنا لم أسمع من قبل بمثل هذا الهراء.

فتابع المفتّش توجيه حديثه إلى إيلفيرا قائلاً: ومع هذا لم تقولي شيئاً للكونتيسة، أليس كذلك؟

- نعم، لم أقُل لها شيئاً لأنها لو علمت بالحادث لأثارت الدنيا.

- وماذا فعلت بصندوق الشوكولاتة؟

- ألقيت به في صندوق القمامة.

- ألم تحاولي البحث عن الفاعل؟

فبدا الاضطراب على إيلفيرا ثم قالت: أعتقد أن جويدو هو الذي أرسل الصندوق.

- ومَن يكون جويدو هذا؟

- آه، جويدو...

وتردّدت الفتاة وهي تنظر إلى أمّها فقالت الأم: لا تكوني حمقاء، حدثي المفتّش ديفي عن جويدو. هل التقيت به خارج المدرسة؟

- نعم، عندما ذهبنا إلى الأوبرا، وكان لطيفاً جذّاباً، وقد تعودت مقابلته في وقت فراغي من الدروس.

فقالت بيس سِيد جويك: لا شكّ أنك كنت مضطرّة إلى اختراع الكثير من الأكاذيب ووضع الخطط مع صديقاتك لمقابلته، أليس كذلك؟

- بلى، وكنت أخرج مع بريدجيت في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى كنت أخرج مع جويدو.

- ما اسمه بالكامل؟

- لا أعرف، لم يذكر لي اسمه بالكامل.

فابتسم المفتش قائلاً: تقصدين أنك لا تريدين. لا بأس، ولكنني أطمْئنك إلى أننا نستطيع أن نصل إلى كل الحقائق لو وجدنا في ذلك ما يفيد القضية. ولماذا يفكّر الشاب الذي يحبّك

في التخلّص منك؟

- لأنني كنت أحاول أن أثير غيرته عندما يكون معه بعض الأصدقاء، فكان يثور ويهدّدني قائلاً إنني لو فكّرت في التخلّي عنه فسوف يقتلني.

ثم ابتسمت إيلفيرا فجأة وقالت: لقد كانت مجرّد حركات تمثيلية بالتأكيد، فلم يكُن جويدو جاداً في تهديده.

هزّ المفتش رأسه وهو يقول: لا أعتقد أن شاباً له الصفات التي ذكرتِها يفكّر في وضع السمّ داخل قطع الشوكولاتة التي تحبينها.

- لا أرى شخصاً غيره يمكن أن يفعل ذلك. على أية حال لقد تلقّيت رسالة بعد عودتي كانت...

ثم توقّفت عن الكلام، وعندما طلب منها المفتّش الاستمرار في الحديث قالت: كانت الرسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة وتقول: «كوني على حذر، يريد شخص ما أن يقتلك».

- هذا أمر بالغ الغرابة! هل شعرت بالخوف؟

- نعم، وبدأت أتساءل بدهشة، مَن الذي يريد أن يتخلّص منّي؟ وكان هذا هو سبب محاولتي معرفة ما إذا كنت غنية جداً.

- حسناً، استمرّي.

- كما حدث أمر آخر في لندن منذ أيام، فبينما كنت في قطار الأنفاق حاول أحدهم أن يدفعني فوق القضبان.

فشهقت الأم فأشار لها ديفي بالصمت، واستأنفت إيلفيرا

حديثها قائلة: أجل، ربما كنت قد توهّمت ذلك، ولكن الأمر يختلف الآن بعد ما حدث الليلة.

ثم التفتت فجأة نحو أمها وقالت: أمّي، ربما كنت تعرفين، هل يريد أحد أن يقتلني؟ هل يوجد أعداء لي؟

- ليس لك أعداء بالتأكيد، ولا يوجد أحد يريد أن يقتلك.

ثم قالت بيس سِيد جويك بانفعال: ربما كان القاتل يقصد شخصاً آخر في مثل هذا الضباب الكثيف، أليس هذا محتملاً؟

قالت ذلك موجّهة حديثها إلى المفتّش الذي قال: من أين كنت آتية هذه الليلة رغم كثافة الضباب؟

- لقد انتهيت من درس الفنون صباح اليوم، فذهبت لتناول الغداء مع صديقتي بريدجيت في ميدان أونسلو، ثم ذهبنا إلى دار العرض، وعندما خرجنا رأينا الضباب الكثيف، فرأيت أنه من الحكمة أن لا أقود السيارة إلى البيت.

- هل تقودين السيارة بنفسك؟

- نعم، فقد حصلت على ترخيص القيادة في الصيف الماضي، ولكنني لست ماهرة في القيادة وأكره القيادة في أثناء الضباب، ولهذا اتصلت هاتفياً بابنة العم ميلدريد التي تعيش في كينت فأخبرتها بأنني سأقضي الليلة مع بريدجيت، فقالت إن هذا تصرّف حكيم.

- وما الذي حدث بعد ذلك؟

- بدأ الضباب يتلاشى قليلاً فرأيت أنني أستطيع الذهاب إلى كينت، فودّعت بريدجيت وركبت السيارة، ولكن الضباب بدأ يتكاثف من جديد فضللت طريقي ووجدت نفسي في هايدبارك، ثم رأيت أنه من الخير لي أن أتّجه إلى الفندق لأن عودتي إلى بريدجيت قد تعرّضني للخطر مثلما ضللت طريقي، وقلت إنهم يعرفون العم ديريك الذي جاء بي إلى الفندق، وعندما يعرفون مشكلتي فقد يدبّرون لي حجرة، ثم وصلت إلى شارع بوند حيث وجدت مكاناً أترك فيه سيارتي، ثم سرت نحو الفندق.

- هل قابلت أحداً أو سمعت إنساناً يسير بالقرب منك؟

- نعم، سمعت وقع أقدام خلفي، كما شعرت بوجود اضطراب في هذا الجوّ، ولكنني تقدّمت نحو الفندق، وفجأة انطلقت رصاصة مرّت بجوار أذني، فأسرع المنادي نحوي فدفعني خلفه، وعندئذ انطلقت الرصاصة الثانية فسقط على الأرض فصرخت.

وأخذت ترتجف فطلبت منها أمّها أن تهدأ، فقالت إيلفيرا وهي تنظر إلى المفتّش: ثم جئت أنت إلى المكان وأخذتني إلى داخل الفندق، وبمجرّد دخولنا رأيت أمّي.

سكت ديفي برهة قبل أن يقول بهدوء: هل تعرفين رجلاً يُدعى لاديسلاوس مالينووسكي؟

وكان يوجّه السؤال ناظراً إلى وجه الأم دون أن يغفل عن مراقبة الابنة بطرف عينه، فقالت إيلفيرا: لا، لا أعرفه.

- لقد كنت أعتقد أنك تعرفينه، كما كنت أعتقد أنه موجود هنا الليلة.

- ولماذا يكون موجوداً؟

- لأن سيارته تقف بالقرب من الفندق.

عادت إيلفيرا تكرّر قائلة: أنا لا أعرفه.

ثم اتجه ديفي ببصره نحو بيس سِيد جويك قائلاً: أنت تعرفينه بالتأكيد، أليس كذلك؟

فقالت بيس سِيد جويك بثبات: بلى، أعرفه منذ سنوات عديدة، وهو رجل مجنون يقود سيارته وكأنه شيطان، وسوف يكسر عنقه ذات يوم. لقد أصيب في حادث منذ ثمانية عشر شهراً.

- أجل، أذكر أنني قرأت الحادث في الصحف. هل عاد إلى الاشتراك في السباق من جديد؟

- لا، ليس بعد، وربما انقطع عن القيادة إلى الأبد.

فقالت إيلفيرا بصوت متعَب: هل أستطيع أن أذهب إلى فراشي الآن؟ أنا في أشدّ حالات التعب.

- بالتأكيد، فقد رويت لنا كل ما تتذكّرينه.

وقالت بيس إنها ستصحب ابنتها، ثم خرجت الأم وابنتها، فقال ديفي لواديل: إنها تعرفه بالفعل.

- هل تعتقد ذلك؟

- لقد علمت أنها كانت تتناول معه الشاي في حدائق باترسي منذ يوم أو يومين.

- وكيف عرفت ذلك؟

- أخبرتني بذلك سيدة عجوز ساءها ما رأت، فقد رأت فيه شخصاً كريهاً.

فقال واديل: ولا سيّما إذا كان هو والأم... هذا ما تردّده الإشاعات.

فقال ديفي: في هذه الحالة إلى أي واحدة منهما يسعى؟ أرجو أن يتّصل به أحدكم بسرعة؛ فأنا في أشدّ الحاجة إلى رؤيته.

- هل تعتقد أنه يقيم في الفندق؟

- لا أظن. لقد جاء لمقابلة الفتاة، وقد جاءت هي أيضاً لمقابلته.

ثم فُتح الباب ودخلت بيس سِيد جويك قائلة: لقد عُدت لأنني أريد أن أتحدّث إليك حديثاً منفرداً.

فخرج واديل وبقيت السيدة سِيد جويك وحدها مع المفتّش، ثم قالت: قصّة الشوكولاتة المسمومة قصّة سخيفة ولا أصدّق أن شيئاً من ذلك قد حدث.

فهزّ ديفي رأسه قائلاً: هل تظنين أن ابنتك اختلقت هذه القصّة؟

- نعم، ولكن لماذا؟

- حسناً، إذا كنت أنت لا تعرفين فكيف لي أن أعرف؟ إنها ابنتك.

- أنا لم أكُن أعرفها، لم أرَها منذ فررت من أبيها وهي في

الثانية من عمرها.

- أعرف ذلك، وأرى أن الأمر غريباً لأن القانون يعطي الأم حقّ حضانة ابنتها حتى لو كانت هي الساعية إلى الطلاق.

- أنا امرأة خطرة، وأنا كذلك منذ بداية شبابي، ورأيت أنه من الخير لها أن تنشأ بعيدة عنّي.

- وهل تعتقدين أنك كنت محقّة في ذلك؟

- الآن عرفت أنني أخطأت، أخطأت خطأً كبيراً.

- هل تعرف ابنتك لاديسلاوس مالينووسكي؟

- أؤكّد لك على أنها لا تعرفه، وهذا ما قالته أمامك بنفسها.

- لقد سمعتها، ولكنها كانت خائفة، فلماذا هي خائفة؟ قد تكون قصّة قطار الأنفاق صحيحة. هل لديك فكرة عمن يكون راغباً في قتل الفتاة؟

- لا أحد، لا أحد إطلاقاً.

وكانت تتكلّم بجدّية، فهزّ ديفي رأسه ولم يقُل شيئاً.

* * *

الفصل الثاني عشر

انتظر كبير المفتّشين ديفي بصبر إلى أن انتهت السيدة ميلفورد من الكلام، وقد كانت مقابلة غير مثمرة. وكانت ابنة العم ميلدريد تشكّ في كلمات إيلفيرا العذبة وسلوكها الهادئ وما ادّعته من آلام في أسنانها والقصّص التي تختلقها، أما السيدة ميلفورد فكانت لا تعرف شيئاً ولا تسمع شيئاً ولا ترى شيئاً.

وأجرى ديفي حديثاً هاتفياً قصيراً مع الكولونيل لاسكومب، ولكن ذلك الحديث كان قليل النفع؛ فقد كان الوصي على إيلفيرا يرى أن الفتاة تربّت خير تربية وأُحيطت بكل ألوان الرعاية، ولم يكُن يرى العالَم مملوءاً بالشرّ كما تراه صديقته العجوز التي تنزل في فندق برترام لأنها -كما يقول- عاشت حياة طويلة ومرّت بتجارب كثيرة. ثم طلب من المفتّش أن يقابل بريدجيت صديقة إيلفيرا؛ فلعلّ لديها بعض المعلومات المفيدة.

* * *

كانت الصعوبة في ذلك اللقاء أن الأم لا تكاد تترك الفرصة لابنتها كي تتحدّث، فأدرك المفتّش أن بريدجيت لا تريد أن

تتكلّم أمام أمها. ثم طلبت الابنة من أمها اللحاق بالاجتماع الذي كانت ستحضره خوفاً من أن يؤثّر غيابها على الاجتماع فقالت الأم: هذا صحيح، ولكن ربما...

فقاطعها ديفي قائلاً: لا تخشَي شيئاً يا سيدتي، فلم تبقَ سوى بعض الأسئلة الروتينية، فسوف أسأل ابنتك عن فترة الدراسة في إيطاليا.

وأخيراً انصرفت أم بريدجيت كي تلحق بالاجتماع، فتنهّدت الفتاة بارتياح وهي تقول: يا إلهي! هل كل الأمهات هكذا؟

- والآن هل تستطيعين أن تتحدّثي بصراحة أكثر؟

- بالتأكيد، الذي أعرفه جيّداً أن إيلفيرا كانت خائفة بشكل ملحوظ وإن كانت لم تعترف بذلك صراحة، ولكنني كنت أدرك أنها تواجه خطراً جسيماً.

- هذا ما شعرت به، ولهذا لم أحاول أن ألحّ في السؤال أمام أمّك.

- لم أكُن أحبّ أن تسمع أمّي ما سأقوله لأنها كانت ستنشر الأخبار في كل مكان، أعني إذا كانت إيلفيرا لا تريد أن يعرف أحد شيئاً عن هذه الأشياء.

فقال ديفي بعد برهة صمت: أريد أن أعرف أولاً قصة صندوق الشكُلاتة الذي أُرسل إليها في إيطاليا. تعتقد إيلفيرا أن الشكُلاتة كانت مسمومة.

فاتسعت عينا بريدجيت من الدهشة وهي تقول: مسمومة؟!

لا، لا أعتقد ذلك.

- هل كان فيها شيء؟

- لقد أكلت إيلفيرا قدراً كبيراً من الشكُلاتة فشعرت بالمغص في تلك الليلة.

- ألم تشتبه في وجود سمّ؟

- نعم، لم تشتبه. آه، بلى؛ لقد قالت إن شخصاً يريد أن يسمّم إحدانا، ففحصنا الشكُلاتة لنرى ما بداخلها.

- وهل وجدتم شيئاً؟

- لا، أو لم نلاحظ شيئاً ظاهراً.

- ولكن صديقتك ظلّت تعتقد أن الشكُلاتة مسمومة.

- ربما، ولكنها لم تقُل شيئاً.

- هل تعتقدين أنها كانت خائفة من شخص ما؟

- لم ألاحظ شيئاً وقتها، ولكنني لاحظت ذلك فيما بعد.

- ماذا تعرفين عن ذلك الشاب الذي يُدعى جويدو؟

فضحكت بريدجيت ساخرة وهي تقول: لقد كان له تأثير السحر على إيلفيرا.

- وهل اعتدت أنت وصديقتك أن تقابلاه في الخارج؟

- ليس لديّ مانع من أن أخبرك؛ فأنت شرطي ولا أهمية للموضوع بالنسبة إليك. لقد كانت الكونتيسة مارتينيللي شديدة

الصرامة، أو هكذا كانت تتخيّل، وكنا نتعاون كي نفعل ما نشاء، فكانت كل واحدة منا تغطي الأخرى.

- وكنتما تختلقان الأكاذيب، أليس كذلك؟

- يؤسفني أن أقول «بلى»، ولكن ماذا كان بوسعنا أن نفعل مع أي شخص كثير الشكوك؟

- المهم أنكما كنتما تقابلان جويدو. هل كان الشاب يتوعّدها؟

- لا بالتأكيد.

- هل كانت تلتقي بشاب آخر؟

فتردّدت الفتاة في الإجابة فقال ديفي: أرجوك يا آنسة بريدجيت؛ فقد يكون هذا الموضوع حيوياً ويفيدنا كثيراً في التحقيق.

- أجل، أنا أقدّر وجهة نظرك. نعم، كان يوجد رجل آخر، ولكنني لا أعرف مَن يكون، وقد كان لها صديق آخر تهتمّ به اهتماماً خاصاً ولكنها كانت صامتة لا تتحدّث عنه.

- هل كانت تقابله؟

- أعتقد ذلك، أعني أنها كانت تقول لنا إنها ذاهبة للقاء جويدو، ولكنه لم يكُن جويدو دائماً، وإنما كان رجلاً آخر.

- أليست لديك فكرة عنه؟

فقالت بريدجيت باهتزاز: نعم، أنا لا أعرفه إطلاقاً.

- أليس اسمه لاديسلاوس مالينووسكي بطل سباق

السيارات؟

ففغرت بريدجيت فمها من الدهشة قائلة: إذن أنت تعرف!

- هل أنا على صواب؟

- نعم، أعتقد ذلك لأنها تحمل صورة له انتزعتها من إحدى المجلات.

- ربما كان مجرّد البطل المحبّب إلى قلبها، أليس كذلك؟

- هذا جائز، ولكنني لا أرجّح ذلك.

- هل تقابله في هذه البلاد؟

- لا أعلم، وفي الواقع أنا لا أعرف شيئاً عن تحرّكاتها منذ عودتنا إلى لندن.

- هل جاءت إلى لندن لعلاج أسنانها أم هذا ما زعمته، وبدلاً من ذلك ذهبت إليك ثم اتصلت بالسيدة ميلفورد هاتفياً لتختلق قصّة عن مربّية عجوز مريضة؟

فضحكت بريدجيت ضحكة قصيرة فقال المفتّش: لقد حدث ذلك، أليس كذلك؟ ولكن إلى أين ذهبت؟

فتردّدت بريدجيت برّهة ثم قالت: ذهبت إلى أيرلندا.

- أيرلندا؟! لماذا؟

- لم تخبرني، وكل ما قالته هو أنها تريد أن تتحقق من شيء.

- هل تعرفين المكان الذي ذهبت إليه في أيرلندا؟

- ليس على وجه التحديد. لقد ذكرت اسماً، بالي... باليغوان على ما أعتقد.

- هل أنت واثقة من أنها سافرت إلى أيرلندا بالفعل؟

- نعم، فقد ودّعتها بنفسي في المطار.

- ومتى عادت؟

- في اليوم التالي.

- هل رجعت بطريق الجوّ؟

- نعم.

- هل أنت واثقة من ذلك؟

- نعم، أعتقد ذلك.

- هل حصلت قبل سفرها على تذكرة ذهاب وعودة؟

- لا، لقد كانت تذكرة ذهاب فقط.

- أليس من الجائز أن تكون عودتها عن غير طريق الجوّ؟

- بلى، هذا جائز.

- أليس من الجائز أن تكون قد عادت في قطار البريد الأيرلندي؟

- لم تخبرني بأنها فعلت ذلك.

- وكذلك لم تقُل إنها عادت عن طريق الجوّ أيضاً.

- حسناً، لو أنها وجدت ما سافرت من أجله فربما كانت قد فكّرت في الرجوع في قطار البريد الأيرلندي.

- المهم أنها عادت إلى إنكلترا. ما الذي حدث بعد ذلك؟

- اتصلت بي هاتفياً.

- في أي وقت من النهار؟

- في نحو الحادية عشرة أو الثانية عشرة.

- ما الذي قالته لك؟

- سألتني هل الأمور على ما يرام.

- وهل كانت الأمور كذلك؟

- لا؛ لأن ابنة عمها ميلدريد اتصلت بنا فردّت أمي عليها فتعقّدت الأمور، ولهذا قالت إيلفيرا إنها لن تأتي إلى بيتنا وإنها سوف تتصل بابنة العم ميلدريد وتختلق لها قصّة مقنعة.

- أهذا كل ما تذكرينه؟

- نعم.

كانت بريدجيت تجيب بتحفّظ، فلم يكُن في استطاعتها أن تحدّثه عن قصّة السيد بولارد والسوار، وقد شعر المفتّش أنها تخفي عنه شيئاً فعاد يسألها من جديد قائلاً: هل تعتقدين أن صديقتك كانت تخاف من شخص أو شيء معيّن حقاً؟

- نعم، أعتقد ذلك.

- هل حدّثتك بنفسها أم سألتها أنت؟

- نعم، أنا التي سألتها، وقد أنكرت في البداية ثم اعترفت بأنها خائفة، وشعرت بأنها في خطر لأنها كانت واثقة من ذلك.

- هل كنت تخافين عليها من شيء حدث في ذلك الصباح في أعقاب عودتها من أيرلندا؟

- نعم، فقد كان ذلك هو الوقت الذي بدأت أتأكّد فيه.

- من احتمال رجوعها في قطار البريد الأيرلندي؟

- أنا أستبعد عودتها في القطار. لماذا لا تسألها؟

- من المحتمل أن أفعل ذلك في النهاية، ولكنني لا أريد أن ألفت النظر إلى هذه النقطة، على الأقل ليس الآن لأنها قد تزيد الخطر الذي يهدّد الفتاة.

فاتسعت عينا بريدجيت من الفزع وهي تقول: ماذا تقصد؟

- ربما لم تذكري يا آنسة بريدجيت أنه في تلك الليلة، أو بمعنى آخر قرب الصباح، حدثت سرقة قطار البريد الأيرلندي.

- هل تعني أن إيلفيرا كانت مشتركة في هذه السرقة ولم تخبرني؟

- هذا أمر مستبعَد، ولكن الذي خطر ببالي هو أنها قد تكون رأت شيئاً أو شخصاً أو حادثاً يتصل بسرقة القطار، فربما

رأت شخصاً تعرفه وهذا يعرّض حياتها للخطر.

فقالت بريدجيت بارتياع: أتقصد شخصاً تعرفه قد شارك في ارتكاب تلك الجريمة؟

فوقف كبير المفتّشين وهو يقول: أعتقد أن هذا كل ما لديّ. هل أنت واثقة أنك أخبرتِني بكل ما تعرفينه؟

وفكّرت بريدجيت مرّة أخرى في السيد بولارد والسوار ثم قالت وهي تنكس رأسها: نعم.

- أعتقد أنه يوجد أمر لم تحدّثيني عنه.

فرفعت بريدجيت عينيها وهي تقول: آه! لقد نسيت أن أخبرك بأن إيلفيرا قد ذهبت في ذلك الصباح إلى مكتب الاستشارات القانونية حيث يوجد الوصيّ لتسأل عن شيء.

- هل تذكرين اسم المكتب؟

- أظن أنه إيغرتون وفوريس.

- أهكذا؟ وهل ذهبت إلى المكتب لتتحقق من شيء ما؟

- كانت تريد أن تعرف قدر الثروة التي تمتلكها.

فرفع ديفي حاجبَيه بدهشة وهو يقول: ماذا؟! حسناً، إلى اللقاء.

* * *

ذهب ديفي إلى مكتب إيغرتون وفوريس فقابله إيغرتون مرحّباً، وبعد أن جلسا سأله ديفي قائلاً: هل جاءت الآنسة إيلفيرا

إلى مكتبك منذ فترة وجيزة؟

فقال إيغرتون: نعم، منذ أسبوع.

فسأله ديفي قائلاً: وقد قابلتها عندما جاءتك منذ أسبوع، أليس كذلك؟

- بلى، هذا صحيح. ما الذي تريد أن تعرفه على وجه التحديد؟ إذا كنت تريد أن تعرف معلومات تتصل بشخصيتها أو أصدقائها فمن الأفضل أن تذهب إلى بعض السيدات، كما توجد السيدة ميلفورد التي تعيش معها.

- لقد قابلت السيدة ميلفورد بالفعل، ولكنني لم أظفر منها بطائل، كما أنني لا أسعى إلى معرفة معلومات عن شخصية الفتاة لأنني قابلتها واستمعت إليها بنفسي، أو على الأقل إلى ما كانت مستعدّة للتصريح به، وقد فهمت منها أنها كانت قلقة أو خائفة من شيء ما. هل كان ذلك هو انطباعك عندما جاءت لمقابلتك؟

فقال إيغرتون ببطء: لا، ليس إلى هذا الحدّ، رغم أن بعض ما قالته قد بدا غريباً.

- مثل ماذا؟

- سألت عمّن سيستفيد من المال في حالة موتها فجأة.

- هذا معناه أنها كانت تفكّر في وقوع شيء. هذا أمر مثير!

- كما كانت تريد أن تعرف قدر المال الذي سوف تحصل عليه عندما تبلغ سنّ الرشد.

- هل هو قدر كبير من المال؟

- نعم، ثروة طائلة.

- هل تعرف لماذا كانت تلحّ على هذا السؤال؟

- أنا لا أعرف على وجه التحديد، إلا أنها تعرّضت لموضوع الزواج.

- هل استنتجت من ذلك الحديث وجود رجل في الموضوع؟

- ليس لديّ دليل، ولكن هذا ما فكّرت فيه، بل كنت واثقاً من أن الأمر يتعلق برجل، صديق في الخفاء، ولكن الكولونيل لاسكومب، الوصيّ عليها، لا يعرف شيئاً عن ذلك الصديق، وقد فوجئ عندما اقترحت عليه أن يبحث عن حبيب للفتاة، والذي سوف يُعتبر شخصاً غير مرغوب فيه وغير مناسب لها.

فهزّ ديفي رأسه قائلاً: أجل، غير مناسب بالفعل.

- هذا معناه أنك تعرف مَن يكون ذلك الشخص.

- لا، ولكنني أستطيع أن أخمّن أنه لاديسلاوس مالينووسكي.

- بطل سباق السيارات؟!

- نعم، فهو شاب وسيم تقع النساء في شبَاكه بسهولة. لكن كيف عرف الفتاة في حين أنه لا تجمع بينهما أي اهتمامات مشتركة؟

- أعتقد أنه كان في روما منذ شهرين، ومن المحتمل أن

يكون قد قابلها هناك، أليس كذلك؟

- هذا جائز. أليس من المحتمل أن يكون قد عرفها عن طريق أمها؟

- عن طريق بيس؟ لا، إن هذا مستبعَد.

ثم سعل ديفي سعلة خفيفة وهو يقول: يقال إن السيدة سِيد جويك ومالينووسكي صديقان حميمان، فهل هذا صحيح؟

- نعم، فقد تكون مشترِكة معه في بعض الاهتمامات، مثل ركوب سيارات السباق وحبّ المخاطرة.

- هل للآنسة بليك أقرباء آخرون؟

- لا أحد على قدر ما أعرف، فقد لقي شقيقا أمّها مصرعهما في الحرب، وكانت إيلفيرا الابنة الوحيدة لكونيستون، ورغم أن الفتاة تنادي السيدة ميلفورد بالعمّة إلا أنها ابنة عمّ الكولونيل لاسكومب، وكان الكولونيل حريصاً على أن تنشأ الفتاة في وسط محافظ.

- لقد قلت إن الآنسة بليك تطرّقت في حديثها معك إلى موضوع الزواج، أليس من المحتمل أن تكون متزوّجة بالفعل؟

- نعم، لا يمكن هذا لأنها لا تزال قاصرة ويحتاج زواجها إلى موافقة الوصيّ عليها.

- هذا من الناحية القانونية، ولكن الفتيات لا يعبأن بذلك في واقع الأمر لأن الزواج عندما يتمّ يصبح زواجاً معترَفاً به، ولذا

أعتقد أنها لو كانت متزوّجة فالزوج هو الذي سيرثها في حالة موتها فجأة، أليس كذلك؟

- إن فكرة أن تكون متزوّجة بالفعل بعيدة الاحتمال؛ فقد تربّت الفتاة خير تربية، محاطة بكل ضروب الرعاية.

فابتسم المفتّش ابتسامة ساخرة لأن الفتاة قد تعرفت بلاديسلاوس مالينووسكي رغم كل تلك الرعاية ثم قال: ألم تفرّ أمّها مع عشيق لها؟

- بلى، هذا صحيح، ولكن الفتاة تختلف عن أمها تماماً، لعلك لا تفكر في أن...

- أنا لا أجزم بشيء في الوقت الحاضر.

* * *

أخذ لاديسلاوس مالينووسكي ينقل نظراته بين رجلَي الشرطة، ثم مال برأسه إلى الخلف ضاحكاً وهو يقول: هذا شيء مضحك للغاية. أتستدعياننني هنا لتستجوباني وليس تحت أيديكما ما يدينني؟

فقال ديفي كبير المفتّشين بهدوء: لقد استدعيناك لتعاوننا في الإدلاء ببعض المعلومات يا سيد مالينووسكي. أنت تمتلك سيارة من طراز مرسيدس أوتو مسجّلة برقم فان ٢٢٦٦، أليس كذلك؟

- وهل يوجد ما يمنع امتلاكي سيارة مثل هذه؟

- مطلقاً. كل ما في الأمر أنه يوجد بعض اللبس بشأن الرقم الصحيح للسيارة، فقد شوهدت سيارتك في أحد الطرق وهي

تحمل رقماً مختلفاً.

- هذا هراء، ولا شكّ أنها كانت سيارة أخرى.

- لا يوجد الكثير من هذا الطراز، وقد تحقّقنا من السيارات الأخرى.

- أنتم تصدّقون كل ما يقوله شرطي المرور، وهذا أمر مثير للضحك! وأين حدث ذلك؟

- في المكان الذي استوقفك فيه رجال الشرطة وطلبوا الاطّلاع على الرخصة، وهو غير بعيد عن بدهامبتون، على يمين خطّ السكة الحديدية حيث وقعت جريمة سرقة قطار البريد الأيرلندي.

- أنت تقول أشياء مسلّية حقاً يا سيدي.

- هل لديك مسدّس؟

- بالتأكيد. لديّ مسدّسان، أحدهما صغير آليّ، كما أن لديّ ترخيص بحمل السلاح.

- ألا يزال المسدّسان في حوزتك؟

- بلى، بالتأكيد.

- أنا أحذّرك يا سيد مالينووسكي من...

- من أن كلّ كلمة أقولها قد تُستخدم ضدّي في المحاكمة، أليس كذلك؟

- ألا ترغب في استدعاء محامٍ يقف إلى بجانبك؟

- نعم، لا أرغب؛ فأنا لا أحبّ المحامين.

- بعض الناس يرى ذلك. أين مسدّساك الآن؟

- أنت تعرف مكانهما جيّداً يا سيدي المفتّش، أحدهما في دُرج في البيت، والمسدّس الآليّ في الجراب الأيمن للسيارة.

- أنت على صواب بالنسبة للمسدّس الموجود في المنزل، ولكن المسدّس الآخر غير موجود في السيارة.

- بل موجود في الجراب الأيسر.

فهزّ المفتّش رأسه نفياً ثم قال: ربما كان موجوداً قبل ذلك. أهذا هو مسدّسك يا سيد مالينووسكي؟

ثم عرض عليه مسدّساً فقال مالينووسكي بدهشة: آه، نعم، هذا مسدّسي. مَن الذي أخذه من السيارة؟ أأنت الذي أخذته؟

- لا. إن المسدّس لم يكُن في سيارتك؛ فقد عثرنا عليه في مكان آخر.

- أين عثرتم عليه؟

- في منطقة شارع بوند، وأنت تعرف أنه قريب من بارك لين. ربما سقط من رجل كان يمشي أو يجري في الطريق.

فهزّ لاديسلاوس كتفَيه وقال: لا شأن لي بهذا. لقد كان المسدّس موجوداً داخل السيارة منذ يوم أو يومين.

- هل تعرف يا سيد مالينووسكي أن هذا هو المسدّس الذي استُخدم في قتل مايكل جورمان ليلة السادس والعشرين من نوفمبر؟

- مايكل جورمان؟ أنا لا أعرف أحداً بهذا الاسم.

- منادي السيارات الذي كان يقف أمام فندق برترام.

- آه، نعم، لقد قرأت عن الحادث. أتقول إنه قُتل بمسدّسي؟ هذا هراء.

- ليس هراءً. لقد فحصه خبراء الأسلحة، وأنت تعرف جيداً أن شهادة هؤلاء الخبراء معترَف بها.

- أنتم تريدون إلصاق التهمة بي. أنا أعرف أساليبكم يا رجال الشرطة.

- أعتقد أنك تعرف شرطة هذه البلاد جيداً يا سيد مالينووسكي.

- هل معنى هذا أنك تتّهمني بقتل مايكل جورمان؟

- نحن نسألك فحسب، ولم نتّهم أحداً بعد.

- هذا ما يجول بخاطرك، ولكن لماذا أقتل ذلك المنادي الأحمق بسترته العسكرية؟ أنا لست مديناً له بالمال، كما أنه ليست بيني وبينه خصومة.

- لقد كان المقصود بالقتل شابة صغيرة، وقد جرى جورمان لحمايتها فأصابته الرصاصة الثانية.

- شابة صغيرة؟

- شابة صغيرة أعتقد أنك تعرفها، الآنسة إيلفيرا بليك.

- هل تريد أن تقول إن شخصاً حاول قتل إيلفيرا بمسدّسي؟

- من الجائز أن يكون قد حدث شجار بينكما.

- أتعني أنني تشاجرت مع إيلفيرا فأطلقت عليها الرصاص؟ أيّ جنون هذا؟! لماذا أقتل الفتاة التي سأتزوّجها؟

- أهذا جزء من أقوالك؟ هل ستتزوّج الآنسة إيلفيرا بليك حقاً؟

فتردّد لاديسلاوس برهة ثم قال وهو يهزّ كتفَيه: لا تزال الفتاة صغيرة، والموضوع يحتاج إلى بعض التفكير.

- ربما كانت قد وعدتك بالزواج ثم غيّرت رأيها. لقد كانت خائفة من شخص ما، فهل كنت أنت ذلك الشخص يا سيد مالينووسكي؟

- ولماذا أريد لها الموت؟ فأنا إما أنني أحبها وأريد أن أتزوّجها، أو أنني لا أرغب في الزواج بها فأتركها، الأمر كما ترى بسيط، إذن لماذا أقتلها؟

- لا يوجد حولها عدد كبير من الناس حتى يسعى البعض إلى قتلها، ولكن توجد أمّها بالتأكيد.

فقفز مالينووسكي بانفعال وهو يقول: ماذا تقول؟ بيس تقتل ابنتها؟ أنت مجنون! لماذا تقتل بيس إيلفيرا؟

- لأنها أقرب الأقرباء وقد ترِث ثروة ضخمة.

- بيس؟! أتقصد أن بيس تقتل من أجل المال؟ إن لديها ما يكفيها من المال الذي ورثته عن زوجها الأمريكي.

- ما يكفي شيء، والثروة الطائلة شيء آخر. الناس يقتلون جرياً وراء المال الوفير، وقد سمعنا عن أمهات قتلن بناتهن وفتيات قتلن أمهاتهن.

- وأنا أقول إنك مجنون.

- لقد قلت إنك ستتزوّج الآنسة بليك، ولكن قد تكون متزوّجاً بها فعلاً، وفي هذه الحالة ترِثها عند موتها.

- لا، أنا لم أتزوّج إيلفيرا. إنها فتاة حسناء وكلانا يحب الآخر وأنا أعترف بهذا، وقد قابلتها في إيطاليا وقضينا وقتاً ممتعاً، وهذا كل ما في الأمر. هل فهمت؟

- ولكنك كنت تقول إنك ستتزوّجها.

- قلت هذا مراعاة لتقاليدكم الإنكليزية وتصنّعكم الحياء، وحتى يبدو الأمر محترماً.

- هذا تفسير يبدو غير معقول.

- أنت لا تفهم شيئاً على الإطلاق. أنا والأمّ عشيقان، ولم أكُن أحبّ أن أصرّح بهذا، ونحن متفقان على الزواج.

- ألست في حاجة ماسّة إلى المال يا سيد مالينووسكي؟

- بلى، أنا في حاجة إلى المال دائماً يا سيدي المفتّش العزيز.

- ومع هذا فقد كنت تنفق المال بغير حساب منذ بضعة أشهر.

- لقد كنت محظوظاً، وأنت تعرف أنني مقامر. هل انتهيت من أسئلتك؟

- بالنسبة للوقت الحاضر، نعم. ولقد تعرّفت على المسدّس وسوف يساعدنا هذا كثيراً.

- هل أستطيع أن أستعيد المسدّس الآن؟

- سوف نحتفظ به بعض الوقت، وسأكتب لك إيصالاً بذلك.

حرّر المفتّش الإيصال وسلّمه إلى مالينووسكي، ثم خرج الأخير وقد صفق الباب وراءه بعنف فقال ديفي: إنه فتى شديد الانفعال.

- ولكنك لم تضغط عليه بالنسبة لموضوع الرقم المختلف للوحة السيارة.

- أجل، فقد كنت أريد أن أثيره وأدفعه إلى القلق، وأعتقد أنه قد اهتزّ.

- لقد طلب الرئيس أن يراك بمجرّد الانتهاء من التحقيق.

فأومأ ديفي برأسه واتجه نحو مكتب السير رونالد، فقال له الأخير: هل أحرزت تقدّماً؟

- لقد سقط الكثير من الأسماك الصغيرة في الشبَاك، ونحن الآن في انتظار الأسماك الكبيرة.

* * *

الفصل الرابع عشر

كان ديفي كبير المفتّشين على رصيف المحطّة في انتظار وصول القطار الذي تستقلّه الآنسة ماربل بناءً على دعوته، وقد تعجّبت الآنسة ماربل عندما أخبرها ديفي بأنهما سيذهبان إلى فندق برترام. وعندما بلغا الفندق لم يتوقّفا عند مكتب الاستقبال وإنما ركبا المصعد إلى الطابق الثاني، وبعد ذلك قادها المفتّش إلى الغرفة رقم ١٨ التي كانت تنزل فيها، ثم جلست العجوز على المقعد المريح وقالت لديفي: تبدو متعَباً يا سيدي المفتّش.

- أجل، لقد كنت أقوم ببعض الجولات، وفي الواقع أنا قادم من أيرلندا.

- أحقاً؟! من قرية باليغوان؟

فأعرب المفتّش عن دهشته لمعرفتها باسم ذلك المكان، فأخبرته بأنها لم تكُن تقصد التصنت إلى حديث الآخرين، ثم قصّت عليه كيف استمعت إلى الحديث الذي دار بين السيدة سِيد جويك ومايكل جورمان، فقال المفتّش: سوف أستمع إلى مزيد من التفصيلات فيما بعد، فأنا أحتاج إليك الآن في مهمّة أخرى. أنا أتوقّع حضور الكاهن بنيفاذر في أية لحظّة الآن وسوف

أذهب لاستقباله، فهل تمانعين؟

ولم تعترض الآنسة ماربل فغادر ديفي الغرفة.

* * *

اجتاز الكاهن الأبواب الدوّارة وهو يشعر بأن شيئاً ما في الفندق قد تغيّر، وعندما استقبلته الآنسة غورنغ بغير بشاشتها المعهودة ازداد إحساسه بالتغيّر الذي طرأ على الفندق، فسأل الآنسة غورنغ عمّا بها فأخبرته بأن الفندق واجه سلسلة من المتاعب خصوصاً بعد مقتل المنادي؛ إذ لم يحدث أن وقعت جريمة قتل في المكان قبل ذلك. ثم أضافت قائلة: لم تقع الجريمة داخل الفندق بالطبع وإنما حدثت في الشارع، ولكنها كانت تتصل بالفندق، حيث لقي المنادي مصرعه وكان لا بدّ من البحث عن بديل له على وجه السرعة.

فقال الكاهن بدهشة: ولكنني قرأت في الصحف أن المقصودة كانت فتاة صغيرة.

- أتعني ابنة السيدة سِيد جويك؟ ربما أراد أحد اللصوص اختطاف حقيبتها متستّراً بالضباب، ثم كانت النتيجة أن لقي المنادي المسكين مصرعه وهو يحاول حمايتها.

- هذه قصّة محزِنة.

- ولكن المؤسف أن رجال الشرطة لا يكفّون عن زيارة الفندق منذ وقوع الحادث.

- أجل.

- هذا هو ديفي كبير المفتّشين يهبط الدرَج الآن، وأعتقد

أنه يريد التحدّث إليك.

- لقد جاء إلى بيتي وسألني، ولكنني خيّبت ظنه لأنني لم أستطع أن أخبره بما يفيد.

- لم تستطع؟!

- نعم؛ فقد أُصبت على أثر الحادث الذي وقع لي بارتجاج في المخّ، وأنا لا أذكر ما حدث لي، وقد وقع الحادث في مكان لا أعرفه ولا أدري لماذا ذهبت إليه. وكان المفتّش يتخيل أنني كنت أقود سيارة في ذلك المكان الغريب.

وفي تلك اللحظة وصل ديفي وسأل الكاهن عن صحّته فقال بنيفاذر: ما زلت أشعر بالصداع، وقد طلب منّي الطبيب عدم إرهاق نفسي، ولكنني لا أزال غير قادر على تذكّر ما ينبغي أن أتذكّره، كما أن الطبيب يقول إن ذاكرتي قد لا تعود أبداً.

- حسناً، ينبغي أن لا نقطع الأمل.

أخذ المفتّش الكاهن بعيداً عن مكتب الاستقبال وهو يقول له: سوف نُجري تجرِبة صغيرة، فهل لديك مانع؟

وكانت التجرِبة تقتضي إعادة تمثيل ما حدث للآنسة ماربل في تلك الليلة، وكيف أنها سمعت صوتاً في الثالثة صباحاً حينما كانت مؤرّقة، ثم ضغطت على الزرّ لإضاءة الحجرة ونظرت إلى الساعة، ثم فتحت الباب لترى الكاهن بنيفاذر وهو يغادر حجرته المجاورة لها ويهبط الدرَج في تلك الساعة من الصباح المبكّر. وعندما تمت التجرِبة قالت الآنسة ماربل: لم يكُن هذا نفس الشخص الذي رأيته رغم أنه يشبهه تماماً، فقد كانت خطوات

الشخص الآخر أكثر شباباً. أعتذر لهذا الخطأ الذي وقعت فيه.

فقال ديفي: بل كنت قريبة جداً من الصواب؛ فقد رجع الكاهن بالفعل إلى الفندق في تلك الليلة، ثم فتح الغرفة بالمفتاح الذي يحمله في جيبه ليفاجأ بوجود نسخة طبق الأصل منه داخل الحجرة.

عندئذ صاح الكاهن بنيفاذر وقد ارتدّت إليه ذاكرته قائلاً: لقد تذكّرت ما حدث. لقد خرجت من دار العرض بعد مشاهدة فِلم «أسوار أريحا» ثم عُدت إلى الفندق، فصعدت الدرَج وفتحت باب الحجرة لأرى نفسي جالساً أمام المرآة، ثم... دعني أحاول أن أتذكّر.

فقال ديفي مكملاً: ثم فوجئ الشخص الذي ينتحل شخصيتك بوجودك في الوقت الذي كان يعتقد فيه أنك في لوسرن، وعندئذ ضربك أحدهم على مؤخّرة رأسك.

انصرف الكاهن بنيفاذر بعد الانتهاء من أداء التجرِبة، ثم سألت الآنسة ماربل الشرطي عن الخطوة التالية فأخبرها أنه سيصحبها لزيارة السيدة سِيد جويك في غرفتها حيث تقيم مع ابنتها.

* * *

طرق ديفي الباب طرقة خفيفة فجاءه صوت السيدة سِيد جويك تأذن له بالدخول، وفوجئت بيس سِيد جويك عندما رأت الآنسة ماربل مع رجل الشرطة، فتذكّرت العجوز التي رأتها مع سيلينا هنري من قبل. ثم سألت ديفي عما إذا كان

قد توصّل إلى القاتل قائلة إنها لا تظن إمكان معرفته في ذلك الضباب الكثيف، فسألها الشرطي عن صحّة ابنتها فأخبرته بأن إيلفيرا بخير، ثم قالت السيدة سِيد جويك بحدّة: سمعت أنك اعتقلت أحد أصدقائي، لاديسلاوس مالينووسكي، فما التهمة الموجّهة إليه؟

– إنه ليس معتقلاً، بل احتجزناه ليمدّنا ببعض المعلومات. لقد استدعيت له محامياً ليكون بجواره.

– حسناً فعلت. لماذا تستجوبه؟ أم ليس من حقّي أن أوجّه هذا السؤال؟

– كنا نريد أن نعرف تحرّكاته في الليلة التي قُتل فيها مايكل جورمان.

– هل تعتقد أن لاديسلاوس هو الذي أطلق النار على إيلفيرا؟

– ماذا كانت مشاعرك عندما لقي مايكل جورمان مصرعه؟ ألم تكوني تعرفينه؟

– بلى، كنت أعرفه بالتأكيد. ألم يكُن يعمل في الفندق؟

– لا داعي إلى اللفّ والدوران يا سيدة سِيد جويك. لقد كان زوجك.

فلم تُجِب السيدة سِيد جويك على الفور، وأخيراً قالت إنها لم ترَه منذ عشرين عاماً حتى رأته في الفندق، ثم أضافت أن زواجهما لم يدُم أكثر من أسبوع وأنها اكتشفت بعد يوم واحد من الزواج أنه سكّير خشن الطباع، وقد أسعدها أن تحضر أسرتها

لتخلّصها منه مقابل مبلغ من المال.

فسألها ديفي قائلاً: هل عرفت أسرتك أنكما تزوّجتما؟

- لا، لم نكُن بحاجة إلى إثارة الموضوع، خصوصاً وأن مايكل أخبرني بأن الزواج لم يكُن حقيقياً وأنه قد استعان ببعض أصدقائه لتمثيل حفل الزفاف. ولم أكتشف الحقيقة إلا في فترة لاحقة.

- معنى هذا أنك ارتكبت جريمة تعدّد الأزواج عندما تزوّجت اللورد كونيستون؟

فضحكت بيس سِيد جويك قائلة إن الجريمة تعدّدت؛ فقد تزوّجت بعد ذلك جوني سِيد جويك ثم ريدغواي بيكر، وإنها تعوّدت عدم الخضوع للقانون، وإنها نسيت موضوع زواجها الأول، فمن الذي يفكّر في نبش الماضي؟

فقال ديفي: وهكذا استمرّ الحال حتى ظهر مايكل جورمان وبدأ يهدّدك.

فأنكرت بيس سِيد جويك أن زوجها السابق هدّدها، ولكن الآنسة ماربل تدخّلت في الحديث فأخبرتها أنها كانت موجودة مع شخص آخر في غرفة الكتابة وأنها سمعت تهديد مايكل لها وردّها عليه بأنها سوف تقتله لو فكّر في إثارة القصّة من جديد، وعندما عرفت السيدة سِيد جويك أن الشخص الآخر الذي سمع الحديث هو ابنتها امتقع وجهها وقالت: يا للطفلة المسكينة! لقد كتمت السرّ في صدرها. لو أنها سألتني لأخبرتها أن الأمر ليس له أدنى أهمية.

- أريدك أن تتصوّري ما حدث. لقد خطّط مالينووسكي للجريمة جيداً، حيث اختار ليلة كثيفة الضباب واختبأ في المنطقة حتى ظهرت ابنتك، وكان يعلم أنها قادمة لأنه رتّب الأمور لتجري كما يشاء، ثم أطلق رصاصة بعيداً عن إيلفيرا التي صرخت ظناً منها أنها المقصودة بالقتل، فأسرع المنادي لنجدتها، وعندئذ وجد مالينووسكي الشخص الذي يريده أمامه فأرداه قتيلاً.

- أنا لا أصدّق حرفاً مما تقول. لماذا يقتل مالينووسكي مايكل جورمان؟

- لأنه كان يهدّده، وذلك بعدما عرف بعض الأشياء عن الفندق.

- عن الفندق؟ ماذا تعني؟

- حسناً، لقد كان التخطيط محكَماً والتنفيذ رائعاً، إلا أن شيئاً لا يمكن أن يستمرّ إلى الأبد. سوف أجيب على سؤالك الآن. إن فندق برترام قد تمّ تجديده ليكون مقرّاً لواحدة من أخطر وأكبر العصابات التي عُرفت منذ زمن طويل.

* * *

الفصل الخامس عشر

خيّم الصمت برهة قصيرة ثم بدأت الآنسة ماربل الحديث مُعرِبة عن دهشتها لأن كل شيء في الفندق كان يبدو غير حقيقيّ، حتى إن صديقتها سيلينا هينري كانت ترى من تحسبهم من الأصدقاء القدامى ثم تكتشف خطأها، وقد حدث نفس الشيء مع غيرها بصورة تستلفت النظر، فقالت بيس سِيد جويك للمفتّش بحدّة: ما الذي كنت تعنيه بقولك إن الفندق مركز لنشاط واحدة من أخطر العصابات؟

فقال ديفي: كان الشيء الحقيقي يختلط بالزائف بصورة ذكية، وكان نصف موظّفي الفندق لهم باطن غير ظاهرهم، وقد تمّ اختيارهم بعناية فائقة. على سبيل المثال هنري، وهمفريس الذي كان يعمل مديراً للمسرح قبل ذلك، وكذلك الأمر مع نزلاء الفندق، وبعضهم من الروّاد القدامى الذين يحبّون أن يعيشوا بين أحضان الماضي، والبعض الآخر من الأثرياء القادمين من الخارج، والذين يؤدّون الأدوار التي رُسمت لهم، ويعاونهم في ذلك مجموعة من الأنصار في الخارج، مرأب لتغيير أرقام السيارات، ومنزل في الريف يقيم به مُزارع مع زوجته ليسرع إلى نجدة المصابين، وطبيب ممنوع من مزاولة المهنة ليقدّم

المساعدة الطبية عندما يستلزم الأمر، وأشخاص يمثّلون أدوار بعض الشخصيات المعروفة، مثل واحد من رجال الدين أو جنرال متقاعد، وسيارات من مختلف الأشكال والألوان تتواجد في مسرح الأحداث لتعوق حركة المرور في الوقت المناسب لتسهيل الفرار للجناة، وسيارات خاصّة يقودها أشخاص ينتحلون شخصيات معروفة حتى تتشتّت جهود رجال الشرطة وتضيع معالِم جرائم السرقات التي تُرتكب.

فقالت بيس: وما فائدة ذلك كله؟

- الأمر واضح، لقد نجحوا في تشتيت فكر رجال الشرطة، ولكن سوء الحظّ صادف العصابة في آخر عملياتها، وهي سرقة قطار البريد الأيرلندي حينما انتحل أحد أفرادها شخصية الكاهن بنيفاذر ليظهر في مكان ارتكاب الجريمة لتتّجه الشكوك إلى رجل الدين وتضيع بضعة أيام من جهود رجال الشرطة في تحرّي الحقائق. وكان من المفترض أن يكون الكاهن في سويسرا، ولكنه يخطئ في موعد السفر وتفوته الرحلة، ثم يعود إلى الفندق ليرى الرجل الذي ينتحل شخصيته، وعندما يجد الأخير نفسه وجهاً لوجه أمام الشخصية الحقيقية في الوقت الذي يستعدّ فيه للذهاب إلى بدهامبتون ترتبك المجموعة ويتصرّف أحدهم تصرّفاً سريعاً فيضرب الكاهن على مؤخّرة رأسه، وأعتقد أن ذلك الشخص هو همفريس، فيفقد الكاهن وعيه، ثم يفحص أفراد العصابة الكاهن الكهل فيدركون أنه فقدَ الوعي فيستمرّون في تنفيذ خطّتهم، حيث يغادر الكاهن الزائف الفندق ليقود سيارته إلى مسرح العملية. أما ما فعلوه بالكاهن الحقيقي فلا أعلمه، ولكنني أستطيع أن أخمّن أنهم نقلوه إلى سيارة في وقت متأخّر

ليذهبوا به إلى ذلك الكوخ في الريف حيث استدعوا له طبيباً، واعتمدوا على أن الكاهن لن يعود إلى صوابه قبل بضعة أيام.

فسألت الآنسة ماربل قائلة: ألم يكونوا يفكّرون في قتله؟

فقال ديفي: نعم، لم يفكروا في ذلك لأن العقل المدبّر للعصابة كان يعارض فكرة القتل.

فقالت بيس سِيد جويك بضيق: يا لها من قصّة مضحكة! لا أظن أن لديك أيّ دليل يربط لاديسلاوس بهذه القصّة.

- إن لديّ كثير من الأدلة ضدّه، فقد كان يحوم حول الفندق حيث كان يجب عليه الابتعاد، وكان قد جاء للالتقاء بابنتك.

فصاحت السيدة سِيد جويك بحدّة قائلة: هراء! لقد أخبرتك أنها لا تعرفه.

- لقد قالت ذلك هي أيضاً، ولكنه ليس صحيحاً؛ فهي تحبّه وتريد منه أن يتزوّجها.

- أنا لا أصدّق ذلك.

- ليس مالينووسكي من الطراز الذي يكشف عن كل أسراره، كما أنك لا تعرفين أي شيء عن ابنتك. ألم تغضبي أشدّ الغضب عندما علمت أن مالينووسكي جاء إلى الفندق؟

- ولماذا أغضب؟

- لأنك العقل المدبّر، أنت وهنري، أما التمويل فيقوم به الأخوان هوفمان، فالعقل الذي يدبّر ويخطّط هو عقلك أنت يا

سيدة سِيد جويك.

فضحكت بيس ساخرة، ولكن ديفي استمرّ في حديثه قائلاً: لم يكُن المال هو ما تسعَين إليه، وإنما المغامرة التي تجري في دمك، ولكنك لم تكوني تسمحين بالقتل أو العنف الزائد.

فوضعت بيس سِيد جويك يدها على الهاتف لتتصل بالمحامي، فقال ديفي: هذا هو التصرّف السليم.

ولكنها تخلّت عن الفكرة وقالت بخضوع: حسناً، أعترف بأنني العقل المدبّر وأنني استمتعت بكل عملية خطّطت لها، ولكنك مخطئ في أمر واحد، وهو أن لاديسلاوس مالينووسكي قتل المنادي؛ فأنا التي أطلقت عليه الرصاص لأنه هدّدني، وقد سمعت الآنسة ماربل حديثنا. لقد اختبأت في المنطقة المجاورة للفندق، وعندما مرّت إيلفيرا أطلقت عليها رصاصة طائشة، وعندما صرخت إيلفيرا وأسرع مايكل نحوها أصبته بالرصاصة الثانية، ولما كانت معي مفاتيح جميع الأبواب فقد تسلّلت من باب المخزن إلى الداخل ثم إلى حجرتي. ولم يخطر ببالي قطّ أنك سوف تعرف أن المسدّس مِلك لاديسلاوس أو حتى تشتبه فيه.

ثم توجّهت بيس بحديثها إلى الآنسة ماربل قائلة: أنت شاهدة وسمعت ما قلته، أنا التي قتلت جورمان.

ثم قفزت السيدة سِيد جويك من مكانها، وبحركة خاطفة حطّمت زجاج الغرفة بجهاز الهاتف وتسلّقت النافذة بسرعة إلى الإفريز الخارجي ثم تسلّقت إحدى المواسير إلى السطح، فأطلق كبير مفتّشي اسكتلنديارد صفارته وقال للآنسة ماربل إن رجاله

يحيطون بالمكان وليس أمامها فرصة للإفلات من الحصار. ولم تمضِ دقائق حتى سُمع صوت محرّك يدور، فأدرك ديفي أنها نجحت في الوصول إلى سيارة السباق التي تمتلكها، ثم سُمعت في الخارج جلبة شديدة وصوت إطلاق الرصاص على إطارات السيارة ثم صوت ارتطام شديد، فأطلّ ديفي برأسه من النافذة فأخبره واحد من رجاله بأن السيدة سِيد جويك ارتطمت بالسور ولقيت مصرعها في الحال.

وقف ديفي في مكانه جامداً برهة ثم قال بأسى: لقد ماتت، ارتطمت بالسور ولم تقتل أحداً. إنها قائدة ماهرة. حسناً، لقد روَت قصّتها أولاً، وقد سمعت يا آنسة ماربل ما قالته.

فقالت الآنسة ماربل: أجل، ولكن ما قالته لم يكُن صحيحاً بالتأكيد.

فنظر إليها ديفي بدهشة وهو يسألها قائلاً: ألم تصدّقيها؟

- نعم، لم أصدّقها. إنها لم تقتل مايكل جورمان.

- وهل لديك فكرة عن القاتل؟

فقالت الآنسة ماربل بثقة: أنا أعرف القاتل بالتأكيد، إنها الفتاة. لقد اتجهت شكوكي نحوها منذ البداية؛ فقد كانت تسرد سلسلة من الأكاذيب، ولكنني لم أتبيّن دوافعها في البداية.

- هذا ما حيّرني. لقد اكتشفت أن زواج أمّها الثاني كان يعني ارتكابها جريمة تعدّد الأزواج، ولكن هل تقتل فتاة لهذا السبب؟

- أعتقد أن المال كان له دخل في الموضوع.

- أجل، كان المال هو الدافع. لقد ترك لها أبوها ثروة طائلة، وعندما اكتشفت أن أمّها كانت متزوّجة مايكل جورمان علمت أن زواج الأم بكونيستون يُعتبر غير قانوني، وتخيّلت أن معنى ذلك حرمانها من المال، فرغم أنها ابنة كونيستون إلا أنها تُعتبر ابنة غير شرعية، ولكنها كانت مخطئة في ذلك؛ فقد صادفتنا قضية مماثلة من قبل حيث يتوقّف الأمر على نصوص الوصيّة، ولا شكّ أن كونيستون ذكر اسمها بصراحة في وصيّته، ولذا كانت ستحصل على المال، ولكنها كانت تجهل ذلك، وفكرت في أنها لا تستطيع الحياة دون المال.

- لماذا كانت تحتاج إلى المال بشدّة؟

فقال ديفي عابساً: كي تشتري لاديسلاوس مالينووسكي، فقد كان سيتزوّجها لو أن المال معها، ولم يكُن ليتزوّجها لو كانت فقيرة. ولم تكُن الفتاة حمقاء، وكانت تدرك ذلك، ولكنها كانت تريده بأي ثمن؛ فقد كانت مجنونة بحبّه.

- أعرف، وقد رأيت ذلك بنفسي في حدائق باترسي.

- لهذا خطّطَت لارتكاب الجريمة، ولم تختبئ في المنطقة بالتأكيد ولم يكُن يوجد أحد غيرها. لقد وقفت ببساطة أمام السور وأطلقت رصاصة ثم صرخت، وعندما اندفع مايكل جورمان نحوها أطلقت عليه الرصاص من مسافة قريبة ثم أخذت تصرخ. ولم يكُن في ذهنها إثارة الشبهات نحو لاديسلاوس، وكانت قد سرقت مسدّسه، ولم تكُن تريد توجيه الاتهام إليه، كما أنها لم تكُن تعلم أنه موجود في المنطقة في تلك الليلة. لقد ارتكبت الجريمة بأعصاب باردة ولكنها شعرت بالخوف بعد ذلك، وقد

أحسّت أمّها بالخوف من أجلها.

- والآن ما الذي تنوي أن تفعله؟

- أنا أعرف أنها ارتكبت الجريمة ولكنني لا أملك الدليل، وحتى مع تقديمها إلى المحاكمة فقد يحالفها حظّ المبتدئ في عالَم الجريمة، ولا سيّما عندما تعرف ظروف تربيتها. ولا تنسَي أننا سوف نستدعيك كشاهدة لأنك قد سمعت اعتراف الأم بارتكاب الجريمة.

- أجل، لقد كانت توجّه إليّ نظرات متوسّلة، وصيّة امرأة تموت.

فُتح الباب الذي يؤدّي إلى حجرة النوم ودخلت منه إيلفيرا وشعرها الذهبي متهدّل على جانبَي وجهها، وكانت تبدو كإحدى الملكات اللائي يظهرن في اللوحات الإيطالية القديمة. وأخذت تنقل نظراتها بين الشرطي والآنسة ماربل ثم قالت: سمعت صوت ارتطام سيارة وصرخات. هل وقع حادث؟

فقال ديفي بلهجة ركيكة: آنسة بليك، يؤسفني أن أخبرك بأن أمّك قد ماتت.

فشهقت إيلفيرا شهقة خفيفة ثم قالت: آه!

كان ذلك هو كل ردّ الفعل للخبر الذي سمعته، فعاد ديفي يستطرد قائلاً: بعد فرارها، لأنها فرّت بعدما اعترفت بأنها قتلت مايكل جورمان.

فقالت إيلفيرا بصوت مرتجف: أتعني أنها قالت إنها هي...؟

- نعم، هذا ما قالته، فهل لديك ما تضيفينه إلى ذلك؟

- لا، ليس لديّ ما أضيفه.

قالت ذلك ثم استدارت وغادرت الغرفة، فقالت الآنسة ماربل للشرطي: حسناً، هل ستتركها تفلت من العقاب؟

فتردّد ديفي برهة وهو يضرب بقبضته بعصبية على المنضدة ثم قال بصوت مرتفع: لا، لا، أقسم بالله أنني لن أتركها.

فأومأت الآنسة ماربل برأسها ببطء ثم قالت بأسى: عسى أن يرحم الله روحها.

* * *

(تمت)